يوسف بن أبي الساج يعرفه هذا الخبر ويأمره بالمبادرة إلى الكوفة . فسار إليها عن واسط آخر شهر رمضان وقد أعد له بالكوفة الإنزال له ولعسكره . فلما وصلها أبو طاهر الهجري هرب نواب السلطان عنها واستولى عليها أبو طاهر وعلى تلك الإنزال والعلوفات . وكان فيها مائة كر دقيقا وألف كر شعيرا وكان قد فني ما معه من الميرة والعلوفة ، فقووا بما أخذوه . ووصل يوسف إلى الكوفة بعد وصول القرمطي بيوم واحد ، فحال بينه وبينها وكان وصوله يوم الجمعة ثامن شوال . فلما وصل إليهم أرسل إليهم يدعوهم إلى طاعة المقتدر فإن أبوا فموعدهم الحرب يوم الأحد فقالوا : "لا طاعة علينا إلا لله تعالى والموعد بيننا للحرب بكرة غد" . فلما كان الغد ابتدأ أوباش العسكر بالشتم ورمي الحجارة . ورأى يوسف قلة القرامطة فاحتقرهم ، وقال : إن هؤلاء الكلاب بعد ساعة في يدي . وتقدم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر قبل اللقاء تهاونا بهم . وزحف الناس بعضهم إلى بعض ، فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات فقال لصاحب له : ما هذا؟ فقال : فشل قال : أجل لم يزد على هذا . فاقتتلوا من ضحوة النهار يوم السبت إلى غروب الشمس وصبر الفريقان . فلما رأى أبو طاهر ذلك باشر الحرب بنفسه ومعه جماعة يثق بهم ، وحمل بهم فطحن أصحاب يوسف ودقهم ، فانهزموا بين يديه . وأسر يوسف وعددا كثيرا من أصحابه وكان أسره وقت المغرب ، وحملوه إلى عسكرهم ووكل به أبو طاهر طبيبا يعالج جراحه ، وورد الخبر إلى بغداد بذلك فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفا شديدا وعزموا على الهرب إلى حلوان ، وهمذان . ودخل المنهزمون بغداد أكثرهم رجالة حفاة عراة .

فبرز مؤنس المظفر ليسير إلى الكوفة فأتاهم الخبر بأن القرامطة قد ساروا إلى عين التمر فأنفذ من بغداد خمسمائة سميرية فيها المقاتلة ، لتمنعهم من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش إلى الأنبار لحفظها ومنع القرامطة من العبور هنالك ، ثم إن القرامطة قصدوا الأنبار فقطع أهلها الجسر، ونزل القرامطة غرب الفرات . وأنفذ أبو طاهر أصحابه إلى الحديثة ، فأتوه بسفن ، ولم يعلم أهل الأنبار بذلك وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة ، فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم ، وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الأنبار وعقدوا الجسر وعبر أبو طاهر جريدة ، وخلف سواده بالجانب الغربي .

ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر إلى الأنبار خرج نصر الحاجب في عسكر جرار فلحق بمؤنس المظفر فاجتمع في نيف وأربعين ألف مقاتل سوى الغلمان ومن يريد النهب . وكان ممن معه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ومن اخوته أبو الوليد ، وأبو السرايا في أصحابهم . وساروا حتى بلغوا نهر زبارا على فرسخين من بغداد عند عقرقوف . فأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة التي عليه فقطعوها . وسار أبو طاهر ومن معه نحوهم فبلغوا نهر زبارا وفي أوائلهم رجل أسود [يقال له : صبح] فما زال الأسود يدنو من القنطرة والنشاب يأخذه ولا يمتنع حتى اشرف عليها فرآها مقطوعة فعاد وهو مثل القنفذ . وأراد القرامطة العبور فلم يمكنهم لأن النهر لم يكن فيه مخاضة . ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى ابن حمدان ذلك قال لمؤنس : كيف رأيت ما أشرت به عليكم ؟ فوالله لو عبر القرامطة النهر لأنهزم كل من معك ولأخذوا بغداد . ولما رأى القرامطة ذلك عادوا إلى ا لأنبار .

وسير مؤنس المظفر صاحبه يلبق في ستة آلاف مقاتل إلى عسكر القرامطة غربي الفرات ليغنموه ، ويخلصوا ابن أبي الساج فبلغوا إليهم ، وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صياد ، وأعطاه ألف دينار ، فلما رآه اصحابه قويت قلوبهم . ولما أتاهم عسكر مؤنس كان أبو طاهر عندهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة . ونظر أبو طاهر إلى ابن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج فلما انهزموا حضره وقتله وقتل جميع الأسرى من اصحابه ، وسلمت بغداد من نهب العيارين ، لأن نازوك كان يطوف هو واصحابه ليلاً ونهاراً ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه فامتنع العيارون .

واكترى كثير من أهل بغداد سفنا ونقلوا إليها أموالهم وربطوها لينحدروا إلى واسط . وفيهم من نقل متاعه إلى واسط ، وإلى حلوان ليسيروا.إلى خراسان . وكان عدة القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل ، وقيل : كانوا الفين وسبعمائة . وقصد القرامطة مدينة هيت (1) ، وكان المقتدر قد سير إليها سعيد بن حمدان ، وهارون بن غريب ، فلما بلغها القرامطة رأوا عسكر الخليفة قد سبقهم فقاتلوهم

(1) هيت : بالكسر، بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

على السور فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة ، فعادوا عنها . ولما بلغ أهل بغداد عودهم من هيت سكنت قلوبهم . ولما علم المقتدر بعدة عسكره وعسكر القرامطة قال : " لعن الله نيفا وثمانين ألفا يعجزون عن ألفين وسبعمائة " .

وجاء إنسان إلى علي بن عيسى ، وأخبره أن في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر بالأخبار ، فأحضره وسأله واعترف ، وقال : ما صحبت أبا طاهر إلا لما صح عندي أنه على الحق وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم ولا بد لله من حجة في أرضه ، وامامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ، ولسنا كالرافضة والاثني عشرية الذين يقولون بجهلهم : ان لهم إماما ينتظرونه ويكذب بعضهم لبعض ، فيقول : قد رأيته وسمعته وهو يقرأ ولا ينكرون بجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن يعطي من العمر ما يظنونه . فقال له : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم فمن فيهم على مذهبك ؟ فقال : وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع مني أنني أسلم قوما مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم ؟ لا أفعل ذلك . فأمر به فضرب ضربا شديدا ، ومنع الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام ، وقد كان ابن أبي الساج قبل قتاله القرامطة ، قد قبض على وزيره محمد بن خلف النيرماني وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هارون وصادر محمداً على خمسمائة ألف دينار .

وكان سبب ذلك ان النيرماني عظم شأنه وكثر ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة ،فكتب إلى نصر الحاجب يخطب الوزارة ويسعى بابن ابي الساج ويقول له : إنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي بأفريقية وانني ناظرته على ذلك ، فلم يرجع عنه ، وانه لا يسير إلى قتال أبي طاهر القرمطي ، وإنما أخذ المال بهذا السبب ويقوى به على قصد حضرة السلطان وإزالة الخلافة عن بني العباس ، وطول في ذلك وعرض . وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء إليهم من أصحاب ابن أبي الساج فسعوا به فاعلموا يوسف بن أبي الساج ذلك وأروه كتباً جاءته من بغداد في المعني من نصر الحاجب ، وفيها رموز إلى قواعد قد تقدمت ، وتقررت ، وفيها الوعد له بالوزارة وعزل علي بن عيسى الوزير . فلما علم ذلك ابن أبي الساج قبض عليه . فلما أسر ابن ابي الساج تخلص من

الحبس ، وكان ابن أبي الساج يسمى الشيخ الكريم لما جمع الله فيه من خلال الكمال والكرم.

ذكر استيلاء أسفار على جرجان

في هذه السنة استولى أسفار بن شيرويه الديلمي على جرجان ، وكان ابتداء أمره أنه كان من أصحاب ما كان بن كالي الديلمي وكان سيء الخلق والعشرة فأخرجه ما كان من عسكره ، فاتصل ببكر بن محمد بن اليسع - وهو بنيسابور- وخدمه فسيره بكر بن محمد إلى جرجان ليفتحها . وكان ما كان بن كالي ذلك الوقت بطبرستان ، وأخوه أبو الحسن بن كالي بجرجان وقد اعتقل أبا علي بن الحسين الأطروش العلوي عنده ، فشرب أبو الحسن بن كالي ليلة ومعه أصحابه ففرقهم وبقي في بيت هو والعلوي . فقام إلى العلوي ليقتله فظفر به العلوي وقتله وخرج من الدار واختفى . فلما أصبح أرسل إلى جماعة من القواد يعرفهم الحال ففرحوا بقتل أبي الحسن بن كالي ، وأخرجوا العلوي وألبسوه القلنسوة ، وبايعوه . فأمسى أسيراً وأصبح أميرا . وجعل مقدم جيشه علي بن خرشيد ورضى به الجيش وكاتبوا أسفار بن شيرويه ، وعرفوه الحال واستقدموه إليهم فاستأذن بكر بن محمد وسار إلى جرجان واتفق مع علي بن خرشيد ، وضبطوا تلك الناحية . فسار إليهم ما كان بن كالي من طبرستان في جيشه فحاربوه وهزموهـ وأخرجوه عن طبرستان وأقاموا بها ومعهم العلوي. فلعب يوما بم الكرة فسقط عن دابته فمات ثم مات علي بن خرشيد صاحب الجيش . وعاد ما كان بن كالي إلى أسفار فحاربه فانهزم أسفار منه ورجع إلى بكر بن محمد برت اليسع – وهو بجرجان – وأقام بها إلى أن توفي بكر بها فولاها الأمير السعيد نصر بن أحمد أسفار بن شيرويه وذلك خمس عشرة وثلاثمائة . وأرسل إلى مرداويج بن زيار الجيلي يستدعيه فحضر عنده وجعله أمير الجيش وأحسن إليه وقصدوا طبرستان ، واستولوا مليها . ونحن نذكر حال ابتداء مرداويج وكيف تقلبت به الأحوال .

ذكر الحرب بين المسلمين والروم

في هذه السنة خرجت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم وأسروا من المسلمين أربعمائة رجل فقتلوا صبرا . وفيها سار الدمستق في جيش عظيم من الروم إلى مدينة دبيل . وفيها نصر السبكي في عسكر يحميها وكان

مع الدمستق دبابات ومناجيق ومعه مزارق تزرق بالنار عدة اثني عشر رجلا فلا يقوم بين يديه أحد من شدة ناره ، واتصاله ، فكان من أشد شيء على المسلمين . وكان الرامي به مباشر القتال من أشجعهم ، فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله وأراح الله المسلمين من شره . وكان الدمستق يجلس على كرسي عال يشرف على البلد وعلى عسكره فأمرهم بالقتال على ما يراه فصبر له أهل البلد – وهو ملازم القتال - حتى وصلوا إلي . سور المدينة فنقبوا فيها نقوباً كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم أهلها؛ ومن فيها من العسكر قتالا شديدا ، فانتصر المسلمون وأخرجوا الروم منها ، وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل . وفيها في ذي القعدة عاد ثمال إلى طرسوس من الغزاة الصائفة سالما هو ومن معه فلقوا جمعا كثيرا من الروم فاقتتلوا ، فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وغنموا ما لا يحصى . وكان من جملة ما غنموا أنهم ذبحوا من الغنم في بلاد الروم ثلاثمائة ألف رأس سوى ما سلم معهم – ولقيهم رجل يعرف بابن الضحاك – وهو من رؤساء الأكراد – وكان له حصن يعرف بالجعفري فارتد عن الإسلام وصار إلى ملك الروم فأجزل له العطية وأمره بالعود إلى حصنه فلقيه المسلمون ، فقاتلوه فأسروه وقتلوا كل من معه .

ذكر مسير جيش المهدي إلى المغرب

في هذه السنة سير المهدي العلوي صاحب أفريقية ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب في جيش كثير في صفر، لسبب محمد بن خرز الزناتي ، وذلك أنه ظفر بعسكر من كتامة فقتل منهم خلقا كثيراً فعظم ذلك على المهدي فسير ولده ، فلما خرج تفرق الأعداء ، وسار حتى وصل إلي ما وراء تاهرت ، فلما عاد من سفرته هذه خط برمحه في الأرض صفة مدينة ، وسماها المحمدية - وهي المسيلة - وكانت خطته لبني كملان ، فأخرجهم منها ونقلهم إلى فحص القيروان كالمتوقع منهم أمراً . فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه ، وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي . وانتقل خلق كثير إلى المحمدية وأمر عاملها إن يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به ففعل ذلك . فلم يزل مخزونا إلى أن خرج أبو يزيد ولقيه المنصور . ومن المحمدية كان يمتاز ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات إبراهيم بن المسعي من حمى حادة وكان موته بالنوبندجان

فاستعمل المقتدر مكانه على فارس ياقوتا واستعمل عوضه على كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد وخلع عليهما ، وعقد لهما لواءين . وفيها شغب الفرسان ببغداد وخرجوا إلى المصلى ، ونهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا ما كان فيه من الوحش . فخرج إليهم مؤنس وضمن لهم أرزاقهم ، فرجعوا إلى منازلهم . وفيها ظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله الأموي صاحب الأندلس بأهل طليطلة ، وكان قد حصرها مدة لخلاف كان عليه فيها . فلما ظفر بهم أخرب كثيرا من عماراتها وشعثها ، وكانت حينئذ دار إسلام . وفيها قصد الأعراب سواد الكوفة ، فنهبوه وخربوه ، ودخلوا الحيرة فنهبوها . فسير إليهم الخليفة جيشا، فدفعوهم عن البلاد. وفيها في ربيع الأول انقضن كوكب عظيم وصار له صوت شديد على ساعتين بقيتا من النهار . وفيها في جمادى الآخرة احترق كثير من الرصافة ، ووصيف الجوهري ، ومربعة الخرسي ببغداد . وفيها توفى أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي صاحب كتاب الأصول في النحو(ا) ، وقيل : توفي سنة ست عشرة . وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش فجأة(2).

(1) ابو بكر بن السراج واسمه محمد بن السري البغدادي النحوي صاحب الأصول في العربية ، له مصنفات كثيرة ، منها شرح كتاب سيبويه . أخذ عن المحرد وغيره . فأخذ عنه السيرافي . شذرات الذهب 2 / 273 .

(2) علي بن سليمان بن المفضل أبو الحسن الأخفش ، روى عن المبرد وثعلب واليزيدي وغيرهم . وعنه الروياني وغيره . كان ثقة فقيرا في ذات يده .

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة

ذكر أخبار القرامطة

لما سار القرامطة من الأنبار عادة مؤنس الخادم إلى بغداد، فدخلها ثالث

المحرم . وسار أبو طاهر القرمطي إلى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا ، فقتل من أهلها جماعة . ثم سار إلى الرحبة ، فدخلها ثامن المحرم بعد أن حاربه ج هلها ، فوضع فيهم السيف بعد أن ظفر بهم . فأمر مؤنس المظفر بالمسير الى الرقة فسار إليها في صفر وجعل طريقه على الموصل ، فوصل إليها في ربيع الأول ونزل بها . وأرسل أهل قرقيسيا يطلبون من أبي طاهر الأمان ، فأمنهم وأمرهم أن لا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوه إلى ذلك ، وسير أبو طاهر سرية إلى الأعراب بالجزيرة ، فنهبوهم وأخذوا أموالهم (1) فخافه الأعراب خوفا شديدا وهربوا من بين يديه . وقرر عليهم أتاوة على كل رأس دينار يحملونه إلى هجر . ثم أصعد أبو طاهر من الرحبة إلى الرقة فدخل أصحابه الربض ، وقتلوا منهم ثلاثين رجلا . وأعان أهل الرقة أهل الربض ، وقتلوا من القرامطة جماعة ، فقاتلهم ثلاثة أيام ثم انصرفوا(2) آخر ربيع الآخر . وبث القرامطة سرية إلى رأس عين ، وكفرتوثا ،فطلب أهلها الأمان فأمنوهم . وساروا أيضا إلى سنجار فنهبوا الجبال ونازلوا سنجار فطلب أهلها الأمان فأمنوهم . وكان مؤنس قد وصل

إلى الموصل فبلغه قصد القرامطة إلى الرقة فجد السير إليها فسار أبو طاهر عنها ، وعاد إلى الرحبة . ووصل مؤنس إلى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها . ثم إن القرامطة ساروا إلى هيت ، وكان أهلها قد أحكموا سورها فقاتلوهم فعادوا عنهم إلى الكوفة ،

(1) في صلة تاريخ الطبري : واستاقوا خمسة آلاف جمل ومواشي كثيرة.

(2) في صلة تاريخ الطبري : فحاربوهم أشد محاربة ورموهم من أعالي دورهم بالماء والتراب والآجر ، ورموهم بسهام مسمومة فمات منهم مائة رجل وانصرفوا عنها مغلولين .

فبلغ الخبر إلى بغداد فأخرج هارون بن غريب ، وبني بن نفيس ، ونصر الحاجب إليها . ووصلت خيل القرمطي إلى قصر ابن هبيرة فقتلوا منه جماعة . ثم إن نصرا الحاجب حم في طريقه حمى حادة فتجلد وسار؛ فلما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة على النهوض والمحاربة ، فاستخلف أحمد بن كيغلغ . واشتد مرض نصر وأمسك لسانه لشدة مرضه ، فردوه إلى بغداد فمات في الطريق أواخر شهر رمضان . فجعل مكانه على الجيش هارون بن غريب ورتب ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه . فانصرف القرامطة إلى البرية وعاد هارون إلى بغداد في الجيش فدخلها لثمان بقين من شوال .

ذكر عزل علي بن عيسى ، ووزارة أبي علي بن مقلة

في هذه السنة عزل علي بن عيسى عن وزارة الخليفة، ورتب فيها أبو علي بن مقلة . وكان سبب ذلك أن عليا لما رأى نقص الإرتفاع وإختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي ،وزيادة النفقات ، وأن الجند لما عادوا من الأنبار زادهم المقتدر في أرزاقهم مائتي ألف وأربعين ألف دينار في السنة . ورأى أيضا كثرة النفقات للخدم والحرم ، لا سيما والدة المقتدر هاله ذلك وعظم عليه . ثم أنه رأى نصرا الحاجب يقصده وينحرف عنه لميل مؤنس إليه فإن نصرا كان يخالف مؤنسا في جميع ما يشير به فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة ، واحتج بالشيخوخة وقلة النهضة . فأمره المقتدر بالصبر وقال له : أنت عندي بمنزلة والدي المعتضد فالح عليه في الاستعفاء ، فشاور مؤنسا في ذلك وأعلمه أن قد سمي للوزارة ثلاثة نفر الفضل بن جعفر بن الفرات الذي أمه حيرانة وأخته زوجة المحسن بن الفرات وأبو علي بن مقلة ، ومحمد بن خلف النيرماني الذي كان وزير ابن أبي الساج . فقال مؤنس : "أما الفضل فقد قتلنا عقه الوزير أبا الحسن ، وأبن عقه زوج اخته المحسن ابن الوزير ، وصادرنا أخته فلا نأمنه ، وأما ابن مقلة فحدث غر لا تجربة له بالوزارة ولا يصلح لها ، وأما محمد بن خلف فجاهل متهور لا يحسن شيئا، والصواب مداراة علي بن عيسى . " ثم لقي مؤنس عله ب بن عيسى وسكنه ، فقال علي : ولو كنت مقيما بالحضرة لاستعنت بك ولكنك سائر إلى الرقة ثم إلى الشام . وبلغ الخبر أبا علي بن مقلة فجد في السعي وضمن على نفسه الضمانات . وشاور المقتدر نصرا الحاجب في هؤلاء الثلاثة فقال : " أما

الفضل بن الفرات فلا يدفع عن صناعة الكتابة والمعرفة والكفاية ، ولكنك بالأمس قتلت عمه وابن عمه وصهره وصادرت أخته وأمه ، ثم ان بني الفرات يدينون بالرفض ويعرفون بولاء آل علي ، وأما أبو علي بن مقلة فلا هيبة له في قلوب الناس ولا يرجع إلى كفاية ولا تجربة " . وأشار بمحمد بن خلف لمودة كانت بينهما فنفر المقتدر من محمد بن خلف لما علمه من جهله وتهوره ، وواصل ابن مقلة بالهدية إلى نصر الحاجب فأشار على المقتدر به فاستوزره . وكان ابن مقلة لما قرب الهجري من الأنبار قد أنفذ صاحبا له معه خمسون طائرا وأمره بالمقام بالأنبار وارسال الأخبار إليه وقتا بوقت ففعل ذلك ، فكانت الأخبار ترد من جهته إلى الخليفة على يد نصر الحاجب . فقال نصر : هذا فعله فيما لا يلزمه فكيف يكون إذا اصطنعته ، فكان ذلك من أقوى الأسباب في وزارته ، وتقدم المقتدر في منتصف ربيع الأول بالقبض على الوزير علي بن عيسى(ا) وأخيه عبد الرحمن؛ وخلع على أبي علي بن مقلة ، وتولى الوزارة(2) وأعانه عليها أبو عبد الله البريدي لمودة كانت بينهما .

ذكر ابتداء حال أبي عبد الله واخوته

لما وبي علي بن عيسى الوزارة كان أبو عبد الله بن البريدي قد ضمن الخاصة ،وكان أخوه أبو يوسف علي سرق . فلما استعمل علي بن عيسى العمال ، ورتبهم في الأعمال قال أبو عبد الله : تقلد مثل هؤلاء على هذه الأعمال الجليلة وتقتصر بي على ضمان الخاصة بالأهواز وبأخي يوسف علي سرق لعن الله من يقنع بهذا منك ، فإن لطبلي صوتا سوف يسمع بعد أيام ، فلما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى ارسل أخاه أبا الحسين إلى بغداد، وأمره أن يخطب له أعمال الأهواز ، وما يجري معها إذا تجددت وزارة لمن يأخذ الرشا ويرتفق ، فلما وزر أبو علي بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على ذلك . فقلد أبا عبد الله الأهواز جميعها سوى السوس ، وجنديسابور. وقلد أخاه أبا

(ا) في صلة تاريخ الطبري : " قبض على علي بن عيسى الوزير ووكل به في دار الخليفة في يوم الثلاثاء لأثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

(2) في صلة الطبري : " وتوجه هارون بن غريب الخال إلى أبي علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن مقلة فحمله إلى دار المقتدر بعد مراسلات كانت بينهما وضمانات فقلده المقتدر وزارته وفوض إليه أموره وخلع عليه الوزارة يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

الحسين الفراتية . وقلد أخاهما أبا يوسف الخاصة والأسافل على أن يكون المال في ذمة أبي أيوب السمسار إلى أن يتصرفوا في الأعمال .

وكتب أبو علي بن مقلة إلى أبي عبد الله في القبض على ابن أبه ب السلاسل ،فسار بنفسه فقبض عليه بتستر وأخذ منه عشرة آلاف دينار ، ولم يوصلها وكان متهورا لا يفكر في عاقبة أمر . وسيرد من أخباره ما يعلم به دهاؤه ومكره ، وقلة دينه وتهوره ، ثم !ن أبا علي بن مقلة جعل أبا محمد الحسين بن أحمد الماذرائي مشرفا على أبي عبد الله فلم يلتفت إليه . (البريدي) بالباء الموحدة والراء المهملة منسوب إنى البريد - هكذا ذكره الأمير ابن ماكولا ، وقد ذكره ابن مسكويه - بالياء المعجمة باثنتين من تحت والزاي - وقال : كان جده يخدم يزيد بن منصور الحميري ، فنسب إليه والأول أصح . وما ذكرنا قول ابن مسكويه : إلا حتى لا يظن ظان أننا لم نقف عليه واخطأنا الصواب .

ذكر من ظهر بسواد العراق من القرامطة

لما كان من أمر أبي طاهر القرمطي ما ذكرناه ، واجتمع من كان بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة فيكتم اعتقاده خوفا فأظهروا اعتقادهم ، فاجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف رجل وولوا أمرهم رجلا يعرف بحريث بن مسعود ، واجتمع طائفة أخرى بعين التمر ونواحيها في جمع كثير وولوا أمرهم إنسانا يسمى عيسى بن موسى ، وكانوا يدعون إلى المهدي . وسار عيسى إلى الكوفة ونزل بظاهرها وجبى الخراج ، وصرف العمال عن السواد . وسار حريث بن مسعود إلى أعمال الموفقي وبنى بها دارا سماها دار الهجرة، واستولى على تلك الناحية ، فكانوا ينهبون ويسبون ويقتلون . وكان يتقلد الحرب بواسط بني بن نفيس ، فقاتلهم فهزموه ، فسير المقتدر بالله إلى حريث بن مسعود ومن معه هارون بن غريب . وإلى عيسى بن موسى ومن معه بالكوفة صافيا البصري ، فأوقع بهم هارون وأوقع صافي بمن سار إليهم فانهزمت القرامطة وأسر منهم كثير ، وقتل أكثر ممن أسر. وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم

(1) في البداية والنهاية 11 / 169 : " ودعوا الى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب جد الفاطميين ، وهم أدعياء كذبة ، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء " .

الوارثين) فأدخلت بغداد منكوسة . واضمحل أمر من بالسواد منهم ، وكفى الله الناس شرهم .

ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب

وفيها وقعت الفتنة بين نازوك صاحب الشرطة وهارون بن غريب ، وسبب ذلك أن ساسة دواب هارون بن غريب وساسة نازوك تغايروا على غلام أمرد وتضاربوا بالعصي ، فحبس نازوك ساسة دواب هارون بعد أن ضربهم . فسار أصحاب هارون إلى محبس الشرطة ، ووثبوا على نائب نازوك به وانتزعوا أصحابه من الحبس . فركب نازوك وشكى إلى المقتدر. فقال : كلاكماً عزيز علي ولست أدخل بينكما . فعاد وجمع رجاله وجمع هارون رجاله وزحف أصحاب نازوك إلى دار هارون ، فأغلق بابه ، وبقي بعض أصحابه خارج الدار فقتل منهم أصحاب نازوك ، وجرحوا ففتح هارون الباب وخرج أصحابه ، فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك فقتلوا منهم وجرحوا واشتبكت الحرب بينهم . فكف نازوك أصحابه وأرسل الخليفة إليهما ينكر عليهما ذلك . فكفا وسكنت الفتنة واستوحش نازوك واستدل بذلك على تغير المقتدر ، ثم ركب إليه هارون وصالحه وخرج هارون بأصحابه ، ونزل بالبستان النجمي ليبعد عن نازوك فأكثر الناس ، الأراجيف وقالوا : قد صار هارون أمير الأمراء ، فعظم ذلك على أصحاب مؤنس ، وكتبوا إليه بذلك - وهو بالرقة - فأسرع العود إلى بغداد فنزل بالشماسية في أعلى بغداد ، ولم يلق المقتدر . فصعد إليه الأمير أبو العباس بن المقتدر . والوزير ابن مقلة فأبلغاه سلام المقتدر واستيحاشه له وعادا . واستشعر كل واحد من المقتدر ومؤنس من صاحبه. وأحضر المقتدر هارون بن غريب - وهو ابن خاله - فجعله معه في داره - فلما علم مؤنس بذلك ازداد نفورا واستيحاشاً . وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل فنزل عند مؤنس ومعه عسكر كبير . وصارت المراسلات بين الخليفة ومؤنس تتردد والأمراء يخرجون إلى مؤنس وانقضت السنة ، وهم على ذلك .

ذكر قتل الحسن بن القاسم الداعي

في هذه السنة قتل الحسن بن القاسم الداعي العلوي. وقد ذكرنا استيلاء أسفار شيرويه الديلمي على طبرستان ، ومعه مرداويج . فلما استولوا عليها كان الحسن بن

القاسم بالري واستولى عليها وأخرج منها أصحاب السعيد نصر بن أحمد ، واستولى على قزوين ، وزنجان ، وأبهر وقم وكان معه ما كان بن كالي الديلمي ، فسار نحو طبرستان والتقوا هم وأسفار عند سارية ، فأقتتلوا قتالا شديدا . فانهزم الحسن ، وما كان بن كالي فلحق الحسن فقتل . وكان انهزام معظم أصحاب الحسن على تعقد منهم للهزيمة . وسبب ذلك أنه كان يأمر أصحابه الإستقامة ومنعهم عن ظلم الرعية وشرب الخمور ، وكانوا يبغضونه لذلك . ثم اتفقوا على أن يستقدموا هروسندان - وهو أحد رؤساء الجبل وكان خال مرداويج ، ووشمكير- ليقدموه عليهم ويقبضوا على الحسن الداعي وينصبوا أبا الحسين بن الأطروش ، ويخطبوا له .

وكان هروسندان مع أحمد الطويل بالدامغان بعد موت صعلوك ، فوقف أحمد على ذلك فكتب إلى الحسن الداعي يعلمه فأخذ حذره ، فلما قدم هروسندان لقيه مع القواد وأخذهم إلى قصره بجرجان ليأكلوا طعاما ، ولم يعلموا أنه قد اطلع على ما عزموا عليه . وكان قد وافق خواص أصحابه على قتلهم وأمرهم بمنع أصحاب أولئك القواد من الدخول . فلما دخلوا داره قابلهم على ما يريدون أن يفعلوه وما أقدموا عليه من المنكرات التي أحلت له دماءهم ، ثم أمر بقتلهم عن آخرهم . وأخبر أصحابهم الذين ببابه بقتلهم وأمرهم بنهب أموالهم فاشتغلوا بالنهب ، وتركوا أصحابهم وعظم قتلهم على أقربائهم ونفروا عنه . فلما كانت هذه الحادثة تخلوا عنه حتى قتل . ولما قتل استولى أسفار على بلاد طبرستان ، 1 وا لري ، وجرجان ، وقزوين ، وزنجان ، وأبهر ، وقم ، والكرخ ودعا لصاحب خراسان - وهو السعيد نصر بن أحمد - وأقام بسارية واستعمل على أمل هارون بن بهرام ، وكان هارون يحتاج ان يخطب فيها لأبي جعفر العلوي . وخاف أسفار ناحية أبي جعفر أن يجدد له فتنة وحربا فاستدعى هارون إليه وأمره أن يتزوج إلى أحد أعيان آمل ، ويحضر عرسه أبا جعفر وغيره من رؤساء العلويين ، ففعل ذلك في يوم ذكره أسفار.

ثم سار أسفار من سارية مجدا فوافى آمل وقت الموعد ، وهاجم دار هارون على حين غفلة وقبض على أبي جعفر وغيره من أعيان العلويين وحملهم إلى بخارى، فاعتقلوا بها إلى أن خلصوا أيام فتنة أبي زكريا - على ما نذكره - ولما فرغ أسفار من أمر طبرستان سار إلى الري وبها ما كان بن كالي فأخذها منه واستولى عليها وسار ما كان إلى

طبرستان ، فأقام هناك . وأحب أسفار أن يستولي على قلعة الموت - وهي قلعة على جبل شاهق من حدود الديلم - وكانت لسياه جشم بن مالك الديلمي - ومعناه الأسود العين - لأنه كان على إحدى عينيه شامة سوداء . فراسله أسفار وهناه ، فقدم عليه فسأله أن يجعل عياله في قلعة الموت وولاه قزوين ، فأجابه إلى ذلك فنقلهم إليها ثم كان يرسل إليهم من يثق به من أصحابه . فلما حصل فيها مائة رجل استدعاه من قزوين ، فلما حضر عنده قبض عليه وقتله بعد أيام . وكان أسفار لما اجتاز بسمنان استأمن إليه ابن أمير كان صاحب جبل دنباوند . وامتنع محمد بن جعفر السمناني من النزول إليه وامتنع بحصن بقرية رأس الكلب فحقدها عليه أسفار . فلما استولى على الري أنفذ عليه جيشا يحصرونه وعليهم إنسان يقال له : عبد الملك الديلمي فحصروه ، ولم يمكنهم الوصول إليه . فوضع عليه عبد الملك من يشير عليه بمصالحته ففعل ، وأجابه عبد الملك الديلمي فحصروه ، ولم يمكنهم الوصول إليه . فوضع عليه عبد الملك من يشير عليه بمصالحته ففعل ، وأجابه عبد الملك إلى المسالة ، ثم وضع عليه من يحسن له أن يضيف عبد الملك ، فأضافه فحضر في جماعة من شجعان أصحابه فتركهم تحت الحصن ، وصد وحده إلى محمد بن جعفر فتحادثا ساعة . ثم استخلاه عبد الملك ليشير إليه شيئا ففعل ذلك ولم يبق عندهما أحد غير غلام صغير . فوثب عليه عبد الملك فقتله ، وكان محمد منقرساً زمناً ،وأخرج حبل ابرشيم ، كان قد أعده فشده في نافذة في تلك الغرفة ونزل وتخلص .

واستغاث ذلك الغلام فجاء أصحاب محمد بن جعفر ، وكسروا الباب وكان عبد الملك قد أغلقه فلما دخلوا رأوه مقتولا فقتلوا به كل من عندهم من الديلم ، وحفظوا نفوسهم ، وعظمت جيوش أسفار وجل قدره فتجبر وعصا على الأمير السعيد صاحب خراسان ، وأراد أن يجعل على رأسه تاجا وينصب بالري سرير ذهب للسلطة ويحارب الخليفة وصاحب خراسان ، فسير المقتدر إليه هارون بن غريب في عسكر نحو قزوين فحاربه أصحاب أسفار بها فانهزم هارون وقتل من أصحابه جمع كثير بباب قزوين . وكان أهل قزوين قد ساعدوا أصحاب هارون فحقدها عليهم أسفار، ثم إن الأمير السعيد صاحب خراسان سار من بخارى قاصدا نحو أسفار ، ليأخذ بلاده فبلغ نيسابور ، فجمع أسفار عسكره وأشار على أسفار وزيره مطرف بن مجمد الجرجاني ، بمراسلة صاحب خراسان والدخول في طاعته ، وبذل المال له فإن أجاب وإلا فالحرب

بين يديه ، وكان في عسكره ، جماعة من أتراك صاحب خراسان قد ساروا معه فخوفه وزيره منهم فرجع إلى رأيه وراسله فأبى أن يجيبه إلى ذلك وعزم على المسير اليه . فأشار عليه أصحابه أن يقبل الأموال وإقامة الخطبة له وخوفوه الحرب وأنه لا يدري لمن النصر ، فرجع إلى قولهم وأجاب أسفار الى ما طلب وشرط عليه شروطا من حمل الأموال وغير ذلك واتفقا . فشرع أسفار بعد اتمام الصلح ، وقسط على الري وأعمالها على كل رجل دينارا سواء كان من أهل البلاد أم من المجتازين ، فحصل له مال عظيم ارضى صاحب خراسان ببعضه ، ورجع عنه. فعظم أمر أسفار خلاف ما كان وزاد تجتره ، وقصد قزوين لما في نفسه على أهلها فأوقع بهم وقعة عظيمة ، أخذ فيها أموالهم وعذبهم ، وقتل كثيرا منهم ، وعسفهم عسفاً شديداً وسلط الديلم عليهم ، فضاقت الأرض عليهم وبلغت القلوب الحناجر . وسمع مؤذن الجامع يؤذن ، فأمر به فألقي من المنارة إلى الأرض ، فاستغاث الناس من شره وظلمه . وخرج أهل قزوين إلى الصحراء الرجال ، والنساء ، والولدان يتضرعون ويدعون عليه ويسألون الله كشف ما هم فيه فبلغه ذلك ، فضحك منهم وشتمهم إستهزاء بالدعاء. فلما كان الغد انهزم على ما نذكره .

ذكر قتل اسفار

كان في أصحاب أسفار قائد من أكبر قواده يقال له : مرداويج بن زيار الديلمي . فأرسله إلى سلار صاحب شميران الطرم ، يدعوه الى طاعته ، وهذا سلار هو الذي صار ولده فيما بعد صاحب اذربيجان وغيرها . فلما وصل مرداويج إليه تشاكيا ما كان الناس فيه من الجهد والبلاء، فتحالفا وتعاقدا على قصده والتساعد على حربه وكان أسفار قد وصل إلى قزوين ، وهو ينتظر وصول مرداويج بجوابه . فكتب مرداويج إلى جماعة من القواد يثق بهم ويعرفهم ما إتفق هو وسلار عليه ، فأجابوه إلى ذلك ، وكان الجند قد سئموا أسفار لسوء سيرته وظلمه وجوره . وكان في جملة من أجاب إلى مساعدة مرداويج مطرف بن محمد وزير أسفار ، وسار مرداويج ، وسلار ، وأسفار ، وبلغه . الخبر ، وأن أصحابه قد بايعوا مرداويج فأحس بالشر ، وكان ذلك عقيب حادثته مع أهل قزوين ودعائهم . وثار الجند بأسفار ، فهرب منهم في جماعة من غلمانه ، وورد الري فأراد أن يأخذ من مال كان عند نائبه بها شيئا ثلم يعطه في ير خمسة آلاف دينار وقال له :

أنت أمير ولا يعوزك مال . فتركه وانصرف إلى خراسان فأقام بناحية بيهق. واما مرداويج فإنه عاد من قزوين نحو الري ، وكتب إلى ما كان بن كالي وهو بطبرستان يستدعيه ليتساعدا ويتعاضدا . فسرى ما كان بن كالي إلى أسفار. وكان قد عسف أهل الناحية التي هو بها فلما أحس بما كان سار إلى بست ، وركب المفازة نحو الري ليقصد قلعة الموت التي بها أهله وأمواله . فانقطع عنه بعض أصحابه ، وقصد مرداويج فأعلمه خبره . فخرج مرداويج من ساعته في أثره وقدم بعض قواده بين يديه فلحقه ذلك القائد ، وقد نزل يستريح فسلم عليه بالأمرة . فقال له أسفار : لعلكم اتصل بكم خبري وبعثت في طلبي . قال : نعم . فبكى أصحابه فأنكر عليهم أسفار ذلك . وقال : بمثل هذه القلوب تتجندون ، أما علمتم أن الولايات مقرونة بالبليات . ثم أقبل على ذلك القائد - وهو يضحك - وسأله عن قواده الذي أسلموا وخذلوه فأخبره أن مرداويج قتلهم فتهلل وجهه ، وقال : كانت حياة هؤلاء غصة في حلقي ، وقد طابت الآن نفسي فامض فيما أمرت به وظن أنه أمر بقتله ، فقال : " ما أمرت فيك بسوء " . وحمله الى مرداويج فسلمه إلى جماعة أصحابه ليحمله إلى الري فقال له بعض أصحابه : " ان أكثر من معك كانوا أصحاب هذا ، فانحرفوا عنه إليك وقد اوحشت أكثرهم بقتل قوادهم فما يؤمنك أن يرجعوا إليه غدا ، ويقبضوا عليك " . فحينئذ أمر بقتله وانصرف الى الري ، وقيل في قتله : أنه لما عاد نحو قلعة الموت نزل في واد هناك يستريح ، فاتفق أن مرداويج خرج يتصيد ويسأل عن أخباره فرأى خيلا يسيرة في واد هناك ، فأرسل بعض أصحابه ليأخذ خبرها فرأوا أسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من أصحابه يريد الحصن ، ليأخذ ماله فيه ويستعين به على جمع الجيوش ، ويعود إلى محاربة مرداويج ، فأخذوه ومن معه وحملوه إلى مرداويج . فلما رآه نزل إليه فذبحه واستقر أمر مرداويج في البلاد، وعاد إلى قزوين بعد قتل أسفار ، فأحسن إلى أهلها ووعدهم الجميل . وقيل : بل دخل أسفار إلى رحا وقد نال منه الجوع ، فطلب من الطحان شيئا يأكله ، فقدم له خبزا ولبنا فأكل منه هو وغلام له ليس معه غيره ، فأقبل مرداويج إلى تلك الناحية ، فاشرف على الرحا فرأى اثر حوافر الدواب ، فسال عنها فقيل له : قد دخل فارسان إلى هذه الرحا فكبس مرداويج الرحا فراه ، وقتله .

ذكر ملك مرداويج

ولما انهزم أسفار من مرداويج ، ابتدأ في ملك البلاد، ثم إنه ظفر بأسفار فقتله ، فتمكن ملكه وثبت ، وتنقل في البلاد يملكها مدينة مدينة وولاية ولاية فملك قزوين ووعدهم الجميل ، فأحبوه ،ثم سار إلى الري فملكها وملك همذان ، وكنكور ، والدينور ، ويزدجرد ، وقم ، وقاشان ، وأصبهان ، وجرباذقان ، وغيرها ، ثم إنه أساء السيرة في أهل أصبهان خاصة ، وأخذ الأموال وهتك المحارم ، وطغى وعمل له سريرا من ذهب يجلس عليه وسريرا من فضة يجلس عليه أكابر قواده ، وإذا جلس على السرير يقف عسكره صفوفا بالبعد منه ، ولا يخاطبه أحد إلا الحجاب الذين رتبهم لذلك ، وخافه الناس خوفاً شديداً .

ذكر ملك مرداويج طبرستان

قد ذكرنا إتفاق ما كان بن كالي بع مرداويج ومساعدته على أسفار، فلما استقر ملك مرداويج وقوي أمره وكثرت أمواله وعساكره ، وطيع في جرجان ، وطبرستان وكانتا مع مما كان بن كالي . فجمع عساكره وسار إلى طبرستان ، فثبت له ما كان ، فاستظهر عليه مرداويج واستولى على طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بانجين - وهو اسفهسلار - عسكره وكان حازما شجاعا جيد الرأي ، ثم سار مرداويج نحو جرجان وكان بها من قبل ما كان شيرزيل بن سلار ، وأبو علي بن تركي فهربا من مرداويج ، وملكها مرداويج ، ورتب سرخاب بن باوس خال ولد بلقسم بن بانجين خليفة عن بلقسم . فجمع لبلقسم ، جرجان ، وطبرستان . وعاد مرداويج إلى أصبهان ظافرا غانما ، وسار ما كان إلى الديلم واستنجد أبا الفضل الثائر بها فأكرمه ، وسار معه إلى طبرستان ، فلقيهما بلقسم وتحاربوا فانهزم ما كان ، والثائر، فأما الثائر فقصد الديلم . وأما ما كان فسار إلى نيسابور فدخل في طاعة السعيد نصر واستنجده فأمده بأكثر جيشه وبالغ في تقويته ، ووصل إليه ما كان ، وأبو علي فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أبو علي ، وما كان ، وعادا إلى نيسابور ، ثم عاد ما كان بن كالي إلى الدامغان ليتملكها فسار نحوه بلقسم ، فصده عنها فعاد إلى خراسان ، وسنذكر باقي أخبار ما كان فيما بعد .

فيها كان ابتداء أمر أبي يزيد الخارجي بالمغرب ، وسنذكر أمره سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، مستقصى . وفيها ظهر بسجستان خارجي ، وسار في جمع إلى بلاد فارس يريد التغلب عليها فقتله أصحابه قبل الوصول إليها وتفرقوا . وفيها صرف أحمد بن نصر العشوري عن حجبة الخليفة وقلدها ياقوت ، وكان يتولى الحرب بفارس - وهو بها - فاستخلف على الحجبة ابنه أبا الفتح المظفر. وفيها وصل الدمستق في جيش كثير من الروم إلى أرمينية فحصروا خلاط فصالحه أهلها ورحل عنهم بعد أن أخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليبا ، وفعل ببدليس كذلك ، وخافه أهل أرزن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر أعيانهم إلى بغداد واستغاثوا إلى الخليفة فلم يغاثوا . وفيها وصل سبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى ملطية ومعهم الفؤوس والمعاول وأظهروا أنهم يتكسبون بالعمل ، ثم ظهر أن مليحا الأرمني صاحب الدروب وضعهم ليكونوا بها فإذا حصرها سلموها إليه ، فعلم بهم أهل ملطية فقتلوهم وأخذوا ما معهم : وفيها في منتصف ربيع الأول قلد مؤنس المؤنسي الموصل وأعمالها . وفيها مات أبو بكر بن أبي داود السجستاني (ا)، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفرايني وله مسند مخرج على صحيح مسلم (2) . وفيها أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج صاحب كتاب الأصول في النحو (3) .

(1) هو محدث العراق وابن محدثها وله بسجستان سنة ثلاثين ومائتين ورحل به أبره وطوف به البلاد شرقا وغربا واستوطن بغداد وصنف السنن والمسد والتفاسير والقراءات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك : وابوه ابو داود صاحب الى أحد الكتب الستة وكان أحفظ من أبيه.

(2) كاد من الحفاظ المكثرين والائمة المشهورين طاف البلاد وحج عدة حجات وكان زاهداً عابداً .

(3) نقدم ذكره في حوادث سنة خمس عشرة وثلاثمائة ولعل المصنف تردد في قوله . وله من المؤلفات الشعر والشعراء ، الجمل ، الرياح والهوى والنار ،الخط والهجاء ، المواصلات والمذاكرات في الأخبار ، الاشتفاق لم يتم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة
ذكر خلع المقتدر

في هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد فبقي يومين ثم أعيد المقتدر، وكان سبب ذلك ما ذكرنا في السنة التي قبلها من استيحاش مؤنس ونزوله بالشماسية، وخرج إليه نازوك صاحب الشرطة في عسكره وحضر عنده أبو الهيجاء بن حمدان في عسكره من بلد الجبل ، وبني بن نفيس ، وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور فأعادها إليه مؤنس عند مجيئه إليه ، وجمع المقتدر عنده في داره هارون بن غريب ، وأحمد بن كيغلغ ، والغلمان الحجرية ، والرجلة المصافية ، وغيرهم . فلما كان آخر النهار ذلك اليوم انفض أكثر من عند المقتدر وخرجوا إلى مؤنس ، وكان ذلك أوائل المحرم .

ثم كتب مؤنس إلى المقتدر رقعة يذكر فيها أن الجيش عاتب منكر للسرف ، فيما يطلق بإسم الخدم والحرم من الأموال والضياع ، ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة ، ويطالبون بإخراجهم من الدار وأخذ ما في أيديهم من الأموال والأملاك ، وإخراج هارون بن غريب من الدار(ا) فأجابه المقتدر أنه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله ويقتصر على ما لا بد منه واستعطفهم وذكرهم بيعته في أعناقهم مرة بعد أخرى، وخوفهم عاقبة النكث ، وأمر هارون بالخروج من بغداد وأقطعه الثغور الشامية والجزرية وخرج من بغداد تاسع المحرم من هذه السنة . وراسلهم المقتدر وذكرهم نعمه عليهم وإحسانه

(ا) جاء في صلة تاريخ الطبري : "وذلك أن مؤنسا المظفر لما قدم من الرقة غد إخراجه إلى القرامطة وترب من بغداد لقيه عبد الله بن حمدان ونازوك الحاجب فأغرياه بالمقتدر وأعلماه بأنه يريد عزله عن الإمارة وتقديم هارون بن غريب مكانه " . . .

إليهم وحذرهم كفر إحسانه والسعي في الشر والفتنة(1) .
فلما أجابهم إلى ذلك دخل مؤنس وابن حمدان ، ونازوك إلى بغداد، وأرجف الناس بأن مؤنسا ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره . فلما كان الثاني عشر من المحرم خرج مؤنس والجيش إلى باب الشماسية فتشاوروا ساعة، ثم رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم . فلما زحفوا إليها وقربوا منها هرب المظفر بن ياقوت . ، وسائر الحجاب ، والخدم ، وغيرهم ، والفراشون ، وكل ه من في الدار .

وكان الوزير أبو علي بن مقلة حاضرا فهرب ودخل مؤنس والجيش دار الخليفة . وأخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواص جواريه ، وأولاده من دار الخلافة ، وحملوا إلى دار مؤنس فاعتقلوا بها(2). وبلغ الخبر هارون بن غريب - وهو بقطربل - فدخل بغداد واستتر. ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة ، ولقبوه القاهر بالله ؛ وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهد عليه بالخلع وعنده مؤنس ، ونازوك ، وابن حمدان ، وبني بن نفيس . فقال : مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة، فأشهد عليه القاضي بالخلع فقام ابن حمدان وقال للمقتدر: "يا سيدي يعز علي أن أراك على هذه الحال وقد كنت أخافها عليك واحذرها وانصح لك واحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء فتؤثر أقوالهم على قولي وكأني كنت أرى هذا وبعد فنحن عبيدك وخدمك " . ودمعت عيناه وعينا المقتدر وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع ، وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضي أبي عمر فكتمه ولم يظهر عليه أحدا . فلما عاد المقتدر إلى الخلافة سلمه إليه ، وأعلمه إنه لم يطلع عليه غيره فاستحسن ذلك منه ، وولاه قضاء القضاة، ولما استقر الأمر للقاهر أخرج مؤنس المظفر علي بن عيسى من الحبس ورتب أبا علي ابن مقلة في الوزارة، وأضاف إلى نازوك مع الشرطة حجبة الخليفة ، وكتب إلى البلاد بذلك . وأقطع ابن حمدان مضافا إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان ، وحلوان ، والدينور ، وهمذان ، وكنكور ، وكرمان ، وشاهان ، والراذنات ،

(ا) جاء في صلة الطبري : " وكتب المقتدر إلى مؤنس وأهل الجيش كتابا كان فيه : وأما نازوك فلست أدري سبب عتبه واستيحاشه فوالله ما أعنت عليه هارون حين جاريه ولا قبضت يده حين طالبه . . . "

(2) في صلة تاريخ بغداد : " ونهب الجند الدار ومحوا رسم الخلافة وهتكوا الحرمة ، وصاروا في أخذ الجوهر والثياب والفرش والطيب إلى ما لا قدر له . . . " .

ودقوقي ،وخانيجار ، ونهاوند ، والصيمرة ، والسيروان ، وماسبذان ، وغيرها . ونهبت دار الخليفة . ومضى بني بن نفيس إلى تربة لوالدة المقتدر، فأخرج من قبر فيها ستمائة ألف دينار، وحملها إلى دار الخليفة . وكان خلع المقتدر للنصف من المحرم ، ثم سكن النهب وانقطعت الفتنة . ولما تقلد نازوك حجبة الخليفة، أمر الرجالة المصافية بقلع خيامهم من دار الخليفة، وأمر رجاله وأصحابه أن يقيموا بمكان المصافية ، فعظم ذلك عليهم ، وتقدم إلى خلفاء الحجاب ألا يمكن أحدا يدخل إلى دار الخليفة إلا من له مرتبة فاضطربت الحجبة من ذلك .

ذكر عود المقتدر إلى الخلافة

لما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكر الناس إلى دار الخليفة لأنه يوم موكب دولة جديدة فامتلأت الممرات ، والمراحات ، والرحاب ، وشاطىء دجلة من الناس . وحضر الرجالة المصافية في السلاح الشاك يطالبون بحق البيعة ورزق سنة وهم حنقون بما فعل بهم نازوك ، ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم وارتفعت زعقات الرجالة فسمع بها نازوك ، فاشفق أن يجري بينهم وبين أصحابه فتنة وقتال فتقدم إلى أصحابه وأمرهم أن لا يعرضوا لهم ، ولا يقاتلوهم ، وزاد شغب الرجالة وهجموا يريدون الصحن التسعيني ، فلم يمنعهم أصحاب نازوك . ودخل من كان على الشط بم السلاح ، وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وعنده أبو علي بن مقلة الوزير، ونازوك ، وأبو الهيجاء بن حمدان فقال القاهر لنازوك : أخرج إليهم فسكنهم وطيب قلوبهم . فخرج إليهم نازوك وهو مخمور قد شرب طول ليلته فلما رآه الرجالة تقدموا إليه ليشكوا حالهم إليه في معنى أرزاقهم فلما رآهم بأيديهم السيوف يقصدونه ، خافهم على نفسه فهرب فطمعوا فيه فتبعوه . فانتهى به الهرب إلى باب كان هو سده أمس ، فأدركوه عنده فقتلوه عند ذلك الباب ، وقتلوا قبله خادمه عجيبا . وصاحوا يا مقتدر يا منصور فهرب كل من كان في الدار من الوزير، والحجاب ، وسائر الطبقات . وبقيت الدار فارغة ، وصلبوا نازوك ، وعجيبا بحيث يراهما من على شاطىء دجلة .

ثم صار الرجالة إلى دار مؤنس يصيحون ويطالبونه بالمقتدر، وبادر الخدم فأغلقوا أبواب دار الخليفة . وكانوا جميعهم خدم المقتدر ومماليكه وصنائعه ، وأراد أبو ا الهيجاء بن حمدان أن يخرج من الدار، فتعلق به القاهر وقال : انا في ذمامك فقال:

والله لا أسئمك أبدا . وأخذ بيد القاهر وقال : "قم بنا نخرج جميعا، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك " . فقاما ليخرجا فوجدا الأبواب مغلقة، فتبعهما فائق وجه القصة يمشي معهما. فاشرف القاهر من سطح ، فرأى كثرة الجمع فنزل هو، وابن حمدان ، وفائق . فقال ابن حمدان للقاهر: قف حتى أعود إليك . ونزع سواده وثيابه ، وأخذ جبة صوف لغلام هناك فلبسها، ومشى نحو باب النوبي ، فرآه مغلقاً والناس من ورائه ، فعاد إلى القاهر وتأخر عنهما وجه القصعة ومن معه من الخدم فأمرهم وجه القصعة بقتلهما أخذا بثار المقتدر وما صنعا به ، فعاد إليهما عشرة من الخدم بالسلاح ، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده ونزع الجبة الصوف ، وأخذها بيده الأخرى، وحمل عليهم فانجفلوا بين يديه وغشيهم ، فرموه بالنشاب ضرورة فعاد عنهم . وانفرد عنه القاهر ومشى إلى آخر البستان فاختفى فيه . ودخل أبو الهيجاء إلى بيت من ساج وتقدم الخدم إلى ذلك البيت فخرج إليهم أبو الهيجاء فولوا هاربين . ودخل إليهم بعض أكابر الغلمان الحجرية ومعه سودان بسلاح ، فقصدوا أبا الهيجاء فخرج إليهم فرمي بالسهام ، فسقط فقصده بعضهم ، فضربه بالسيف فقطع يده اليمنى ، وأخذ رأسه فحمله بعضهم ومشى وهو معه.

وأما الرجالة فإنهم لما انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم قال : ما الذي تريدون ؟ فقيل له : نريد المقتدر فأمر بتسليمه إليهم ، فلما قيل للمقتدر ليخرج ، خاف على نفسه أن تكون حيلة عليه فامتنع ، وحمل وأخرج إليهم ، فحمله الرجالة على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فلما حصل في الصحن التسعيني اطمأن وقعد، فسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان فقيل : هما أحياء . فكتب لهما أمانا بخطه وأمر خادما بالسرعة بكتاب الأمان لئلا يحدث على ابي الهيجاء حادث ، فمضى بالخط إليه فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه فعاد معه ، فلما رآه المقتدر وأخبره بقتله قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . من قتله ؟ فقال الخدم : ما نعرف قاتله . وعظم عليه قتله وقال : ما كان يدخل علي ويسليني ، ويظهر لي الغنم هذه الأيام غيره .

ثم أخذ القاهر وأحضر عند المقتدر فاستدناه ، فأجلسه عنده وقبل جبينه وقال له : يا أخي قد علمت أنه لا ذنب لك ، وأنك قهرت ولو لقبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر، والقاهر يبكي ، ويقول : يا أمير المؤمنين نفسي نفسي ، أذكر الرحم التي بيني

وبينك ،فقال له المقتدر: "وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرى عليك سؤ مني أبدا ولا وصل أحد إلى مكروهك ، وأنا حي ". فشكر، وأخرج رأس نازوك ، ورأس أبي الهيجاء وشهرا. ونودي عليهما هذا جزاء من عصي مولاه .

وأما بني بن نفيس فإنه كان من أشذ القوم على المقتدر فاتاه الخبر برجوعه إلى الخلافة ، فركب جوادا ، وهرب عن بغداد وغير زيه ، وسار حتى بلغ الموصل وسار منها إلى أرمينية، وسار حتى دخل القسطنطينية وتنصر، وهرب أبو السرايا نصر بن حمدان أخو أبي الهيجاء إلى الموصل وسكنت الفتنة، وأحضر المقتدر أبا علي بن مقلة وأعاده إلى وزارته ، وكتب إلى البلاد بما تجدد له ، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم؛ وباع ما في الخزائن من الأمتعة والجواهر، وأذن في بيع الأملاك من الناس فبيع ذلك بأرخص الأثمان ، ليتم أعطيات الجند. وقد قيل : إن مؤنسا المظفر لم يكن مؤثرا لما جرى على المقتدر من الخلع . وإنما وافق الجماعة مغلوبا على رأيه ولعلمه أنه إن خالفهم لم ينتفع به المقتدر، ووافقهم ليأمنوه ، وسعى مع الغلمان المصافية والحجرية ، ووضع قوادهم على أن عملوا ما عملوا وأعادوا المقتدر إلى الخلافة . وكان هو قد قال للمقتدر لما كان في داره : ما تريدون أن نصنع ؟ فلهذا أمنه المقتدر. ولما حملوه إلى دار الخلافة من دار مؤنس ، ورأى فيها كثرة الخلق والاختلاف ، عاد إلى دار مؤنس لثقته به واعتماده عليه ، ولولا هوى مؤنس مع المقتدر لكان حضر عند القاهر مع الجماعة فإنه لم يكن معهم ، كما ذكرناه ، ولكان أيضا قتل المقتدر لما طلب من داره ليعاد إلى الخلافة . وأما القاهر، فإن المقتدر حبسه عند والدته فأحسنت إليه وأكرمته ووسعت عليه النفقة، واشترت له السراري ، والجواري للخدمة وبالغت في إكرامه والإحسان إليه بكل طريق .

ذكر مسير القرامطة إلى مكة وما فعلوه بأهلها وبالحجاج وأخذهم الحجر الأسود

حج بالناس في هذه السنة منصور الديلمي ، وسار بهم من بغداد إلى مكة فسلموا في الطريق ، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه (ا) وقلع الحجر الأسود

(1) قال ابو الفدا : فانتهب - القرمطي - اموالهم واستباح قتالهم ، فقتل في رحاب مكة وشعابها ، وفي =

ونفذه إلى هجر، فخرج إليه ابن محلب أمير مكة في جماعة من الأشراف فسألوه في أموالهم ، فلم يشفعهم ، فقاتلوه فقتلهم أجمعين. وقلع باب البيت ، وأصعد رجلا ليقلع الميزاب ، فسقط فمات . وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام ، حيث قتلوا بغير كفن ولا غسل ولا صلي على أحد منهم ، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة . فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيدالله العلوي بأفريقية كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ، ويقيم عليه القيامة . ويتول : "قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر، والإلحاد بما فعلت ، وان لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة" . فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود على ما نذكره ، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فرده ، وقال : " إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على منعهم " .

ذكر خروج أبي زكريا واخوته بخراسان

في هذه السنة خرج أبو زكريا يحمى ، وأبو صالح منصور، وأبو إسحاق إبراهيم أولاد أحمد بن إسماعيل الساماني على أخيهم السعيد نصر بن أحمد . وقيل : كان ذلك سنة ثمان عشرة وهو الصحيح ، وكان سبب ذلك أن أخاهم نصرا كان قد حبسهم في القهندز ببخارى، ووش بهم من يحفظهم فتخلصوا منه . وكان سبب خلاصهم ان رجلا يعرف بابي بكر الخباز الأصبهاني ، كان يقول : " إذا جرى ذكر السعيد نصر بن أحمد إن

=المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا ، وجلس أميرهم أبو طاهر- لعنه الله -على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول :

انا لله وبالله أنا يخلق ... الخلق وافنيهم أنا

فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا بل يقتلون .

ودخل رجل من القرامطة إلى حاشية الطواف وهو راكب سكران فبال فرسه عند البيت ثم ضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه ، وألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحادا لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه . والذي حملهم على ذلك شدة كفرهم وغلو زندقتهم . وكانت اقامة القرمطي بمكة أحد عثر يوما فلما عاد القرمطي الى بلاده رماه الله تعالى في جسده حتى طال عذابه وتقطعت أوصاله وأطرافه وهو ينظر إليها وتأثر الدود من لحمه .

له مني يوما طويل البلاء والعناء "، فكان الناس يضحكون منه .

فخرج السعيد إلى نيسابور واستخلف ببخارى أبا العباس الكوسج ، وكانت وظيفة اخوته تحمل إليهم من عند هذا أبي بكر الخباز، وهم في السجن ، فسعى لهم أبو بكر مع جماعة من أهل العسكر ليخرجوهم ، فأجابوه إلى ذلك ، وأعلمهم ما سعى لهم فيه . فلما سار السعيد عن بخارى تواعد هؤلاء للاجتماع بباب القهندز يوم جمعة . وكان الرسم أن لا يفتح باب القهندز أيام الجمع إلا بعد العصر. فلما كان الخميس دخل أبو بكر الخباز إلى القهندز قبل الجمعة التي اتعدوا الاجتماع ، فيها بيوم فبات فيه ، فلما كان الغد ، وهو الجمعة جاء الخباز إلى باب القهندز وأظهر للبواب زهدا ودينا وأعطاه خمسة دنانير ليفتح له الباب ليخرجه لئلا تفوته الصلاة، ففتح له الباب . فصاح أبو بكر الخباز ممن وافقه على إخراجهم ، وكانوا على الباب فأجابوه ، وقبضوا على البواب ودخلوا وأخرجوا يحيى ، ومنصورا ، وإبراهيم بني أحمد بن إسماعيل من الحبس مع جميع من فيه من الديلم ، والعلويين ، والعيارين . فاجتمعوا واجتمع إليهم من كان وافقهم من العسكر، ورأسهم شروين الجيلي وغيره من القواد. ثم إنهم عظمت شوكتهم ونهبوا خزائن السعيد نصر بن أحمد ، ودوره وقصوره ، واختص يحيى بن أحمد أبا بكر الخباز وقدمه وقواده . وكان السعيد إذ ذاك بنيسابور، وكان أبو بكر محمد بن المظفر صاحب جيش خراسان بجرجان . فلما خرج يحيى وبلغ خبره السعيد عاد من نيسابور إلى بخارى .

وبلغ الخبر إلى محمد بن المظفر، فراسل ما كان بن كالي وصاهره وولاه نيسابور وأمره بمنعها ممن يقصدها، فسار ما كان إليها . وكان السعيد قد سار من نيسابور إلى بخارى وكان يحيى وكل بالنهر أبا بكر الخباز فأخذه السعيد أسيرا، وعبر النهر إلى بخارى، فبالغ في تعذيب الخباز ثم ألقاه في التنور الذي كان يخبز فيه فاحترق .

وسار يحيى من بخارى إلى سمرقند ثم خرج منها ، واجتاز بنواحي الصغانيان ،وبها أبو علي بن أبي بكر محمد بن المظفر. وسار يحيى إلى ترمذ فعبر النهر إلى بلخ ، وبها قراتكين فوافقه قراتكين ، وخرجا إلى مرو، ولما ورد محمد بن المظفر بنيسابور كاتبه يحمى واستماله فأظهر له محمد الميل إليه ووعده المسير نحوه .

ثم سار عن نيسابور واستخلف بها ما كان بن كالي ، وأظهر أنه يريد مرو، ثم عدل عن الطريق نحو بوشنج ، وهراة مسرعاً في سيره ، واستولى عليهما .

وسار محمد عن هراة نحو الصغانيان على طريق غرشتان فبلغ خبره يحيى فسير إلى طريقه عسكرا ، فلقيهم محمد فهزمهم ، وسار عن غرشتان . واستمد ابنه ابا علي من الصغانيان فأمده بجيش .

وسار محمد بن المظفر إلى بلخ وبها منصور بن قراتكين ، فالتقيا واقتتلا قتالا شديدا ، فانهزم منصور إلى الجوزجان .

وسار محمد إلى الصغانيان فاجتمع بولده ، وكتب إلى السعيد بخبره فسره ذلك ،وولاه بلخ ، وطخارستان . واستقدمه ، فولاها محمد ابنه على أحمد وأنفذه إليها ، ولحق محمد بالسعيد فاجتمع به ببلخ رستاق وهو في أثر يحمص وهو بهراة، وكان يحمى قد سار إلى نيسابور وبها ما ما كان بن كالي ، فمنعه عنها ونزلوا عليها فلم يظفروا بها . وكان مع يحيى محمد بن إلياس فاستأمن إلى ما كان واستأمن منصور، وابراهيم أخو يحمص إلى السعيد نصر، فلما قارب السعيد هراة وبها يحيى ،وقراتكين سارا عن هراة إلى بلخ . فاحتال قراتكين ليصرف السعيد عن نفسه ، فأنفذ يحمى من بلخ إلى بخارى، وأقام هو ببلخ .

فعطف السعيد إلى بخارى فلما عبر النهر هرب يحمص من بخارى إلى سمرقند ثم عاد من سمرقند ثانيا فلم يعاونه قراتكين ، فسار إلى نيسابور وبها محمد بن إلياس قد قوى أمره ، وسار عنها ما كان إلى جرجان ووافقه محمد بن إلياس ، وخطب له وأقاموا بنيسابور، وكان السعيد في أثر يحمص لا يمكنه من الاستقرار. فلما بلغهم خبر مجيء السعيد إلى نيسابور تفرقوا . فخرج ابن إلياس إلى كرمان ، وأقام بها وخرج قراتكين ومعه يحيى إلى بسط والرخج فأقاما بها؛ ووصل نصر بن أحمد نيسابور في سنة عشرين وثلاثمائة ، فأنفذ إلى قراتكين وولاه بلخ ، وبذل الأمان ليحيى ، فجاء إليه وزالت الفتنة ، وانقطع الشر، وكان قد دام هبن ه المدة كلها .

وأقام السعيد بنيسابور إلى أن حضر عنده يحيى فأكرمه وأحسن إليه ثم مضى بها لسبيله هو وأخوه أبو صالح منصور . فلما رأى أخوهما إبراهيم ذلك هرب من عند السعيد

إلي بغداد ثم منها إلى الموصل وسيأتي خبره إن شاء الله تعالى . وأما قراتكين فإنه مات ببست ، ونقل إلى اسبيجاب فدفن بها في رباطه المعروف برباط قراتكين ولم يملك ضيعة في . وكان يقول : "ينبغي للجندي أن يصحبه كل ما ملك أين سار حتى لا يعتقله شيء".

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة منتصف المحرم وقعت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين أهل المربعة والبزازين ، فظهر أصحاب الطعام عليهم أول النهار . فانضم الأساكفة إلى أهل المربعة والبزازين فاستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام ، وهزموهم وأحرقوا أسواقهم ، وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة . واجترأ أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والأساكفة على أصحاب الطعام واقتتلوا قتالا شديدا دام بينهم . ثم ظفر أصحاب الطعام فهزموا الأساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم ، وركب أمير الموصل - وهو الحسن بن عبدالله بن حمدان الذي لقب بعد بناصر الدولة - ليسكن الناس ، فلم يسكنوا ولا كفوا، ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم .

وفيها وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة ، ودخل كثير من الجند فيها . وسبب ذلك أن أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى : { عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا }(ا) هو أن الله سبحانه يقعد النبي صلى الله عليه وسلم معه على العرش ، وقالت الطائفة الأخرى : " إنما هو الشفاعة لما . فوقعت الفتنة واقتتلوا ، فقتل بينهم قتلى كثيرة .

وفيها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم ، منها ملطية، وميافارقين ، وآمد، وأرزن ، وغيرها . وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم . وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر، لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا .

وفيها قلد القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن إسحاق بن حماد بن زيد قضاء القضاة .

وفيها قلد ابنا رائق شرطة بغداد مكان نازوك .

(ا) سورة الإسراء 70.

وفيها مات أحمد بن منيع وكان مولده سنة أربع عشرة ومائتين .

وفيها أقر المقتدر بالله ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان على ما بيده من أعمال قردى وبازبدي وعلى أقطاع أبيه وضياعه .

وفيها قلد نحرير الصغير أعمال الموصل فسار إليها فمات بها في هذه السنة، ووليها بعده ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان في المحرم من سنة ثمان عشرة وثلاثمائة . وفيها سار حاج العراق إلى مكة على طريق الشام فوصلوا إلى الموصل أول شهر رمضان ثم منها إلى الشام لإنقطاع الطريق بسبب القرمطي معه كسوة الكعبة مع ابن عبدوس الجهشياري لأنه كان من أصحاب الوزير. وفيها في شعبان ظهر بالموصل خارجي يعرف بابن مطر، وقصد نصيبين فسار إليه ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فأسره . وظهر فيه أيضا خارجي اسمه محمد بن صالح بالبوازيج فسار إليه أبو السرايا نصر برت حمدان فأخذه أيضا . وفيها التقى مفلح الساجي والدمستق فاقتتلوا فانهزم الدمستق ، ودخل مفلح وراءه إلى بلاد الروم . وفيها آخر ذي القعدة انقض كوكب عظيم وصار له ضوء عظيم جدا . وفيها هتت ريح شديدة وحملت رملا أحمر شديد الحمرة فعم جانبي بغداد وامتلأت منه البيوت والدروب يشبه رمل طريق مكة . وفيها توفي أبو بكر ج حمد بن الحسن بن الفرج بن سقير النحوي (ا)، وكان عالماً بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف .

(1) الذي في بغية الوعاة 1 /302 : " أحمد بن الحسن بن العباس بن المفحر بن شقير النحوي الشقيري " .

ذكر هلاك الرجالة المصافية

في هذه السنة في المحرم هلك الرجالة المصافية، وأخرجوا من بغداد بعد ما عظم شرهم وقوي أمرهم . وكان سبب ذلك أنهم لما أعادوا المقتدر إلى الخلافة على ما ذكرنا ، زاد إذلالهم واستطالتهم ، وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء . منها أنهم يقولون : من أعان ظالم سلطه الله عليه ، ومن يصعد الحمار إلى السطح يقدر أن يحطه وان لم يفعل المقتدر معنا ما نستحقه قاتلناه بما يستحق إلى غير ذلك . وكثر شعبهم ومطالبتهم ، وادخلوا في الأرزاق أولادهم وأهليهم ومعارفهم وأثبتوا أسماءهم فصار لهم في الشهر مائة ألف وثلاثون ألف دينار(إ) . واتفق أن شغب الفرسان في طلب أرزاقهم فقيل لهم : إن بيت المال فارغ وقد انصرفت الأموال إلى الرجالة؛ فثار بهم الفرسان فاقتتلوا ، فقتل من الفرسان جماعة، واحتج المقتدر بقتلهم على الرجالة، وأمر محمد بن ياقوت فركب ، وكان قد استعمل على الشرطة فطرد الرجالة عن دار المقتدر ونودي فيهم بخروجهم عن بغداد ومن أقام قبض عليه وحبس . وهدمت دور غرمائهم ، وقبضت أملاكهم ، وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضربهم وحلق لحاهم وشهر بهم ، وهاج السودان تعصبا للرجالة فركب محمد أيضاً في الحجرية وأوقع بهم وأحرق منازلهم فاحترق فيها جماعة كثيرة منهم ومن أولادهم ومن نسائهم فخرجوا إلى واسط واجتمع بها منهم جمع كثير وتغلبوا عليها وطرحوا عامل الخليفة، فسار إليهم مؤنس فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم (2) فلم تقم لهم بعدها راية .

(أ) في صلة تاريخ الطبري : " وانضوى إليهم من لم يكن منهم وزادت عدتهم على عشرين ألفاً وبلغ المال المدفوع إليهم لكل شهر مائة ألف وثلاثين ألف دينار لم . . . " .

(2) في صلة تاريخ الطبري : " وقصد الفرسان من العامة إلى الموضع الذي كان فيه مستقر السودان بباب عمار فنهبوهم وأحرقوا منازلهم فطلبوا الأمان وسألوا الصفح فرفع عنهم القتل وحبس منهم الوجوه وأسقطت عنهم الجرايات . . . ".

ذكر عزل ناصر الدولة ابن حمدان عن الموصل وولاية عميه سعيد ونصر

في هذه السنة في ربيع الأول عزل ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان عن الموصل ووليها عماه سعيد ونصر ابنا حمدان . وولي ناصر الدولة ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين ، ومعها من ديار بكر ميافارقين ، وارزن ضمن ذلك بمال مبلغه معلوم . فسار إليها ووصل سعيد إلى الموصل في ربيع الآخر.

ذكر عزل ابن مقلة ووزارة سليمان بن الحسن

وفي هذه السنة عزل الوزير أبو علي محمد بن مقلة من وزارة الخليفة . وكان سبب عزله أن المقتدر كان يتهمه بالميل إلى مؤنس المظفر وكان المقتدر مستوحشا من مؤنس ويظهر له الجميل ، فأتفق أن مؤنسا خرج إلى أوانا وعكبرا(ا) فركب ابن مقلة إلى دار المقتدر آخر جمادى الأولى فقبض عليه . وكان بين محمد بن ياقوت وبين ابن مقلة عداوة، فأنفذ إلى داره بعد أن قبض عليه وأحرقها ليلا(2)، وأراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبدالله . وكان مؤنس قد عاد فأنفذ إلى المقتدر مع علي بن عيسى يسأل أن يعاد ابن مقلة فلم يجبه المقتدر إلى ذلك ، وأراد قتل ابن مقلة فرده عن ذلك . فسأل مؤنس أن لا يستوزر الحسين فتركه واستوزر سليمان بن الحسن منتصف جمادى الأولى . وأمر المقتدر بالله علي بن عيسى بالاطلاع على الدواوين وأن لا ينفرد سليمان عنه بشيء ، وصودر أبو علي بن مقلة بمائتي ألف دينار، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام .

ذكر القبض على أولاد البريدي

كان أولاد البريدي وهم أبو عبدالله وأبو يوسف وأبو الحسين قد ضمنوا الأهواز كما تقدم ، فلما عزل الوزير ابن مقلة كتب المقتدر بخط يده إلى أحمد بن نصر القشوري الحاجب يأمره بالقبض عليهم ففعل وأودعهم عنده في داره (3) . ففي بعض الأيام سمع

(ا) كان خرج متنزهاً .

(2) ذكر في صلة الطبري ان احتراق الدار كان ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى . وكانت الدار بالزاهر على شاطىء دجلة .

(3) بذل ابو عبد الله البريدي لأبي يعقوب حاجب احمد بن نصر خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه ثم سأله أن يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى .

ضجة عظيمة وأصواتا ماثلة فسأل ما الخبر؟ فقيل : إن الوزير قد كتب بإطلاق بني البريدي ، وأنفذ إليه أبو عبدالله كتابا مزوراً يأمر فيه باطلاقهم وإعادتهم إلى أعمالهم . فقال لهم أحمد : "هذا كتاب الخليفة بخطه يقول فيه ، لا تطلقهم حتى يأتيك كتاب آخر بخطي ثم ظهر أن الكتاب مزور" . ثم أنفذ المقتدر فاستحضرهم إلى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار وكان لا يطمع فيها منهم. وإنما طلب منهم هذا القدر ليجيبوا إلى بعضه فأجابوا إليه جميعه ليتخلصوا ويعودوا إلى عملهم.

ذكر خروج صالح والأغر

وفي هذه السنة في جمادى الأولى خرج خارجى من بجيلة من أهل البوازيج اسمه صالح بن محمود، وعبر إلى البرية، واجتمع إليه جماعة من بني مالك . وسار إلى سنجار فاخذ من أهلها مالا فلقيه قوافل فأخذ عشرها، وخطب بسنجار فذكر بأمر القد وحذر وأطال في هذا، ثم قال : نتولى الشيخين ونبرأ من الخبيثين ولا نرى المسح على الخفين " . وسار منها إلى الشجاجية من أرض الموصل فطالب أهلها وأهل أعمال الفرج بالعشر وأقام أياما . وانحدر إلى الحديثة تحت الموصل فطالب المسلمين بزكاة أموالهم والنصارى بجزية رؤوسهم ، فجرى بينهم حرب ، فقتل من أصحابه جماعه ، ومنعوه مات دخولها فاحرق لهم ست عروب ، وعبر إلى الجانب الغربي .

وأسر أهل الحديثة ابنا لصالح اسمه محمد فأخذه نصر بن حمدان بن حمدون - وهو الأمير بالموصل - فأدخله إليها . ثم سار صالح إلى السن فصالحه أهلها على مال أخذه سنهم . وانصرف إلى البوازيج ، وسار منها إلى تل خوسا - قرية من أعمال الموصل عند الزاب الأعلى - وكاتب أهل الموصل في أمر ولده وتهددهم إن لم يردوه إليه . ثم رحل إلى السلامية، فسار إليه نصر بن حمدان لخمس خلون من شعبان من هذه السنة، ففارقها صالح إلى البوازيج . فطلبه نصر، فأدركه بها فحاربه حربا شديدة قتل فيها من رجال صالح نحو مائة رجل وقتل من أصحاب نصر جماعة . وأسر صالح ومعه ابنان له وأدخلوا إلى الموصل وحملوا إلى بغداد فأدخلوا مشهورين .

وفيها في شعبان خرج بأرض الموصل خارجي اسمه الأغر بن مطر التغلبي وكان يذكر أنه من ولد عتاب بن كلثوم التغلبي أخي عمرو بن كلثوم الشاعر. وكان خروجه

بنواحي رأس العين وقصد كفرتوثا وقد اجتمع معه نحو ألفي رجل فدخلها، ونهبها وقتل ا من فيها. وسار إلى نصيبين فنزل بالقرب منها فخرج إليه ومعه جمع من الجند ومن العامة فقاتلوه ، فقتل الشاري منهم مائة رجل وأسر ألف رجل فباعهم نفوسهم وصالحه أهل نصيبين على أربعمائة ألف درهم . وبلغ خبره ناصر الدولة ابن حمدان - وهو أمير ديار ربيعة - فسير إليه جيشا فقاتلوه فظفروا به وأسروه وسيره ناصر الدولة إلى بغداد .

ذكر مخالفة جعفر بن أبي جعفر وعوده

كان جعفر بن أبي جعفر بن أبي داود مقيما بالختل واليا عليها للسامانية، فبدت منه أمور نسب بسببها إلى الاستعصاء، فكوتب أبو علي أحمد بن محمد بن المظفر بقصده ، فسار إليه وحاربه فقبض عليه وحمله إلى بخارى وذلك قبل مخالفة أبي زكريا يحمى . فلما حمل إلى بخارى حبس فيها، فلما خالف أبو زكريا يحيى أخرجه من الحبس وصحبه ، ثم استأذنه في العود إلى ولاية الختل ، وجمع الجيوش له بها فأذن له فسار إليها وأقام بها وتمسك بطاعة السعيد نصر بن أحمد فصلح حاله ، وذلك سنة ثمان عشرة وثلاثمائة - الختل ، بالخاء المعجمة والتاء فوقها نقطتان والخاء مضمومة والتاء مشددة مفتوحة -

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة شغب الفرسان وتهددوا بخلع الطاعة . فاحضر المقتدر قوادهم بين يديه ووعدهم الجميل وان يطلق أرزاقهم في الشهر المقبل فسكنوا . ثم شغب الرجالة فاطلقت أرزاقهم .

وفيها خلع المقتدر على ابنه هارون (1) وركب معه الوزير والجيش وأعطاه ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران . وفيها أيضا خلع على ابنه ابي العباس (2) وأقطعه بلاد الغرب ومصر والشام وجعل مؤنسا المظفر يخلفه فيها . وفيها صرف إبنا رائق عن الشرطة

<u>(1) عين في الصلة اليوم وهو يوم الأثنين لست يقين من شوال فبراير في الخلع الى داره المعروفة بجرادة بقرب الجسر ، وكان المقتدر قد ثقف ولده هذا بنصر الحاجب وجعل في حجره ، فلما مات نصر تكفل أمره ياقوت كما كان يتكفله نصر قبله إلا أن نصرا حان يهدي له ويتقرب إليه .</u>

<u>(2) وكان ذلك في ذي ا القعدة منها، وركب معه الوزير ومؤنس المظفر وجميع الجند .</u>

وقلدها أبو بكر محمد بن ياقوت . وفيها وقعت فتنة بنصيبين بين أهل باب الروم والباب الشرقي واقتتلوا قتالا شديدا وأدخلوا إليهم قوما من العرب والسواد فقتل بينهم جماعة ، وأحرقت المنازل والحوانيت ونهبت الأموال ، ونزل بهم قافلة عظيمة تريد الشام فنهبوها. وفيها توفي يحمص بن محمد بن صاعد البغدادي وكان عمره تسعين سنة وهو من فضلاء المحدثين (ا). والقاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الفقيه الحنفي وكان عالما بالأدب ونحو الكوفيين وله شعر حسن .

(ا) كان من كبار الحفاظ وشيوخ الرواية له تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه توفي بالكوفة، وبنو صاعد ثلاثة : يوسف ، وأحمد ، ويحيى .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

ذكر تجدد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

في هذه السنة تجددت الوحشة بين مؤنس المظفر وبين المقتدر بالله ، وكان سببها أن محمد بن ياقوت كان منحرفا على الوزير سليمان ومائلاً إلى الحسين بن القاسم . وكان مؤنس يميل إلى سليمان بسبب علي بن عيسى وثقتهم به . وقوي أمر محمد بن ياقوت وقلد مع الشرطة الحسبة، وضم إليه رجالا فقوي بهم ، فعظم ذلك على مؤنس وسال المقتدر صرف محمد عن الحسبة، وقال : "هذا شغل لا يجوز أن يتولاه غير القضاة والعدول " . فأجابه المقتدر. وجمع مؤنس إليه أصحابه فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان وفي دار محمد بن ياقوت . وقيل لمؤنس : "إن محمد بن ياقوت قد عزم على كبس دارك ليلا" . ولم يزل به أصحابه حتى أخرجوه إلى باب الشماسية فضربوا مضاربهم هناك ، وطالب المقتدر بصرف ياقوت عن الحجبة وصرف ابنه عن الشرطة وابعادهما عن الحضرة فاخرجا إلى المدائن . وقلد المقتدر ياقوتا أعمال فارس وكرمان ، وقلد ابنه المظفر بن ياقوت أصبهان . وقلد أبا بكر محمد بن ياقوت سجستان . وتقلد ابنا رائق إبراهيم ومحمد مكان ياقوت وولده الحجبة والشرطة . وأقام ياقوت بشيراز مدة . وكان علي بن خلف بن طياب ضامنا أموال الضياع والخراج بها فتظافرا وتعاقدا وقطعا الحمل عن المقتدر إلى أن ملك علي بن بويه الديلمي بلاد فارس سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

ذكر قبض الوزير سليمان ووزارة أبي القاسم الكلوذاني

وفي هذه السنة قبض المقتدر على وزيره سليمان بن الحسن . وكان سبب ذلك أن سليمان ضاقت الأموال عليه إضاقة شديدة ، وكثرت عليه المطالبات ، ووقفت وظائف السلطان ، واتصلت رقاع من يرشح نفسه للوزارة بالسعاية به والضمان بالقيام بالوظائف

وأرزاق الجند وغير ذلك ، فقبض عليه ونقله إلى داره ، وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة، فامتنع مؤنس من ذلك واشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني ، فاضطر المقتدر إلى ذلك فاستوزره لثلاث بقين من رجب (1) ، فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين ، وكانت وزارته غيره متمكنة أيضا فإنه كان علي بن عيسى معه على الدواوين وسائر الأمور وأفرد علي بن عيسى عنه بالنظر في المظالم ، واستعمل على ديوان السواد غيره فانقطعت مواد الوزير . فإنه كان يقيم من قبله من يشتري توقيعات أرزاق جماعة لا يمكنهم مفارقة ما هم عليه بصدده من الخدمة، فكان يعطيهم نصف المبلغ ، وكذلك ادرارات الفقهاء وأرباب البيوت إلى غير ذلك (2) .

وكان أبو بكر بن قرابة منتميا إلى مفلح الخادم فأوصله إلى المقتدر فذكر له أنه يعرف وجوه مرافق الوزراء ، فاستعمله عليها ليصلحها للخليفة فسعى في تحصيل ذلك من العمال والضمان والتناء وغيرهم . فأخلق بذلك الخلافة وفضح الديوان ووقفت أحوال الناس ، فإن الوزراء وأرباب الولايات لا يقومون بأشغال الرعايا والتعب معهم إلا لرفق يحصل لهم ، وليس لهم من الدين ما يحملهم على النظر في أحوالهم ، فإنه بعيد منهم ، فإذا منعوا تلك المرافق تركوا الناس يضطربون ولا يجدون من يأخذ بأيديهم ولا يقضي حوائجهم ، فإني قد رأيت هذا عيانا في زماننا هذا وفات به من المصالح العامة والخاصة مالا يحص .

ذكر الحرب بين هارون وعسكر مرداويج

قد ذكرنا فيما تقدم قتل أسفار وملك مرداويج وأنه استولى على بلد الجبل

والري . وغيرهما؛ وأقبلت الديلم إليه من كل ناحية لبذله وإحسانه إس جنده فعظمت جيوشه وكثرت عساكره . وكثر الخرج عليه فلم يكفه ما في يده ، ففرق نوابه في النواحي المجاورة له . فكان ممن سيره إلى همذان ابن أخت له في جيش كثير. وكان بها أبو عبدالله محمد بن خلف في عسكر الخليفة فتحاربوا حروبا كثيرة، وأعان أهل همذان عسكر الخليفة فظفروا بالديلم ، وقتل ابن أخت مرداويج . فسار مرداويج من الري إلى

(أ) في الصلة " لأربع بقين من رجب " .

(2) وظهر من سليمان لي وزارته ما كان مستورا من سخف الكلام وضرب الأمثال المضحكة واظهار اللفظ القبيح بين يدي الخليفة مما يجل الوزراء عنه فاستنقصه الخلق وهجاه الشعراء واستعظموا الوزارة لمثله .

همذان فلما سمع أصحاب الخليفة بمسيره انهزموا من همذان فجاء إلى همذان ، ونزل على باب الأسد فتحصن منه أهلها فقاتلهم فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأحرق وسبى ، فم رفع السيف عنهم وأمن بقيتهم ، فأنفذ المقتدر هارون بن غريب الخال في عساكر كثيرة إلى محاربته ، فالتقوا بنواحي همذان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم هارون وعسكر الخليفة واستولى مرداويج على بلاد الجبل جميعها وما وراء همذان . فسير قائداً كبيراً من أصحابه يعرف بابن علان القزويني إلى الدينور ففتحها بالسيف وقتل كثيرا من أهلها . وبلغت عساكره إلى نواحي حلوان فغنمت ونهبت وقتلت وسبت الأولاد والنساء وعادوا إليه .

ذكر ما فعله لشكري (ا) من المخالفة

كان لشكري الديلمي من أصحاب أسفار واستأمن إلى الخليفة، فلما انهزم هارون بن غريب من مرداويج سار معه إلى قرميسين ، وأقام هارون بها واستمد المقتدر ليعاود محاربة مرداويج ، وستر هارون لشكري هذا إلى نهاوند لحمل مال بها إليه . فلما صار لشكري بنهاوند ورأى غنى أهلها طمع فيهم ، وصادرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها في مدة اسبوع وجند بها جندا، ثم مضى إلى أصبهان هاربا من هارون في الجند الذين انضموا إليه في جمادى الآخرة . وكان الوالي على أصبهان حينئذ أحمد بن كيغلغ وذلك قبل استيلاء مرداويج عليها. فخرج إليه أحمد فحاربه فانهزم أحمد هزيمة قبيحة وملك لشكري أصبهان ، ودخل أصحابه إليها فنزلوا في الدور والخانات وغيرها ولم يدخل لشكري معهم .

ولما انهزم أحمد نجا إلى بعض قرى أصبهان في ثلاثين فارسا ، وركب لشكري يطوف بسور أصبهان من ظاهره فنظر إلى أحمد في جماعته فسأل عنه فقيل: لا شك أنه من أصحاب أحمد بن كيغلغ ، فسار فيمن معه من أصحابه نحوهم وكانوا عدة يسيرة، فلما قرب منهم تعارفوا فاقتتلوا ، فقتل لشكري قتله أحمد بن كيغلغ ضربه بالسيف على رأسه فقد المغفر والخوذة ، ونزل السيف حتى خالط دماغه فسقط ميتا . وكان عمر أحمد إذ ذاك قد جاوز السبعين ، فلما قتل لشكري انهزم من معه فدخلوا أصبهان واعلموا

(1) في الصلة " الأشكري " .

أصحابهم فهربوا على وجوههم وتركوا أثقالهم وأكثر رحالهم ودخل أحمد إلى أصبهان ، وكان هذا قبل استيلاء مرداويج على أصبهان ، وكان هذا من الفتح الظريف ، وكان جزاؤه أن صرف عن أصبهان وولى عليها المظفر بن ياقوت .

ذكر ملك مرداويج أصبهان

ثم أنفذ مرداويج طائفة أخرى إلى أصبهان فملكوها واستولوا عليها وبنوا له فيها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي والبساتين ، فسار مرداويج إليها فنزلها ، وهو في أربعين ألفاً ، وقيل : خمسين ألفاً ، وأرسل جمعا آخر إلى الأهواز، فم استولوا عليها وعلى خوزستان وجبوا أموال هذه البلاد والنواحي وقسمها في أصحابه وجمع منها الكثير فادخره ، ثم إنه أرسل إلى المقتدر رسولا يقرر على نفسه مالا على هذه البلاد كلها ونزل المقتدر عن همذان وماه الكوفة فأجابه المقتدر إلى ذلك ، وقوطع على مائتي ألف دينار كل سنة .

ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين بن القاسم

في هذه السنة عزل أبو القاسم الكلوذاني عن وزارة الخليفة، ووزر الحسين بن القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب ، وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد إنسان يعرف بالدانيالي وكان زراقاً ذكياً محتالاً ، وكان يعتق الكاغد ، ويكتب فيه بخطه ما يشبه الخط العتيق ، ويذكر فيه إشارات ورموزا يودعها أسماء أقوام من أرباب الدولة فيحصل له بذلك رفق كثير. فمن جملة ما فعله أنه وضع في جملة كتاب ميم ميم ميم يكون منه كذا وكذا وأحضره عند مفلح ، وقال : هذا كناية عنك فإنك مفلح مولى المقتدر، وذكر له علامات تدل عليه فأغناه ، فتوصل الحسين بن القاسم معه حتى جعل اسمه في كتاب وضعه وعتقه ، وذكر فيه علامة وجهه وما فيه من الآثار ويقول : إنه يزر للخليفة الثامن عشر من خلفاء بني العباس ، وتستقيم الأمور على يديه ويقهر الأعادي وتتعمر الدنيا في أيامه . وجعل هذا كله في جملة كتاب ذكر فيه حوادث قد وقعت وأشياء لم تقع بعد ونسب ذلك إلى دانيال وعتق الكتاب وأخذه وقرأه على مفلح . فلما رأى ذلك أخذ الكتاب وأحضره عند المقتدر وقال له : أتعرف في الكتاب من هو بهذه الصفة؟ فقال : ما أعرفه إلا الحسين بن القاسم فقال : "صدقت وإن قلبي ليميل إليه ، فإن جاءك منه رسول برقعة

فاعرضها علي واكتم حاله ، ولا تطلع على أمره أحدا" .
وخرج مفلح إلى الدانيالي فسأله هل تعرف أحدا من الكتاب بهذه الصفة؟ فقال :لا أعرف أحدا قال : فمن أين وصل إليك هذا الكتاب ؟ فقال : من أبي وهو ورثه من آبائه وهو من ملاحم دانيال عليه السلام . فأعاد ذلك على المقتدر فقبله ، فعرف الدانيالي ذلك الحسين بن القاسم ، فلما أعلمه كتب رقعة إلى مفلح فأوصلها إلى المقتدر، ووعده الجميل وأمره بطلب الوزارة وإصلاح مؤنس الخادم فكان ذلك من أعظم الأسباب في وزارته مع كثرة الكارهين له . ثم اتفق أن الكلوذاني عمل حسبة بما يحتاج إليه من النفقات ، وعليها خط أصحاب الديوان فبقي يحتاج إلى سبعمائة ألف دينار وعرضها على المقتدر وقال : "ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين لأنفقه " . فعظم ذلك على المقتدر، وكتب الحسين بن القاسم لما بلغه ذلك يضمن جميع النفقات ولا يطالبه بشيء من بيت المال وضمن أنه يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار يكون في بيت المال. فعرضت رقعته على الكلوذاني ، فاستقال وأذن له فه ب وزارة الحسين (ا). ومضى الحسين إلى يلبق وضمن له مالا ليصلح له قلب مؤنس ففعل . فغزل الكلوذاني في رمضان وتولى الحسين الوزارة لليلتين بقيتا من رمضان أيضا وكانت ولاية الكلوذاني شهرين وثلاثة أيام؛ واختص بالحسين بنو البريدي ، وابن قرابة وشرط أن لا يطلع معه علي بن عيسى فأجيب ذلك وشرع في إخراجه من بغداد، فأجيب إلى ذلك فأخرج إلى الصافية .

ذكر تأكد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

في هذه السنة في ذي الحجة تجددت الوحشة بين مؤنس المقتدر، حتى آل ذلك إلى قتل المقتدر. وكان سببها ما ذكرنا أولا في غير موضع . فلما كان الآن بلغ مؤنسا أن الوزير الحسين بن القاسم قد وافق جماعة من القواد في التدبير عليه فتنكر له مؤنس ، وبلغ الحسين أن مؤنسا قد تنكر له ، وأنه يريد أن يكبس داره ليلا ويقبض عليه فتنقل في عدة مواضع ، وكان لا يحضر داره إلا بكرة ، ثم إنه انتقل إلى دار الخلافة . فطلب مؤنس

(ا) بين في صلة الطبري سبب عزل الكلوذاني من الوزارة قال : وكان عبيد الله بن محمد الكلوذاني أحد الكتاب الكبار ، وجليلا في نفوس الناس فقدروا أن فيه كفاية وقياما بالأمر فأقام على الوزارة شهرين وهو متبرم بها لضيق الأموال وكثرة الاعتراضات واتصال الشغب وقعود العمال عن حمل المال فاستعفى وقال :

ما أصلح أن أكون وزيرا فصرف عنها ولم يعنف ولا نكب ولا تعرض أحد من حاشيته وانصرف إلى داره واستقر فيها فأمر الخليفة بحفظها وصيانتها .

من المقتدر عزل الحسين ومصادرته فاجاب إلى عزله ، ولم يصادره ، وأمر الحسين بلزوم بيته فلم يقنع مؤنس بذلك فبقي في وزارته - وأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنسا يريد أخذ ولده أبي العباس - وهو الراضي - من داره بالمخرم والمسير به إلى الشام والبيعة له فرده المقتدر إلى دار الخلافة . فعلم ذلك أبو العباس فلما أفضت الخلافة إليه فعل بالحسين ما نذكر، وكتب الحسين إلى هارون - وهو بدير العاقول - بعد انهزامه من مرداويج ليستقدمه إلى بغداد . وكتب إلى محمد بن ياقوت - وهو بالأهواز- يأمره بالإسراع إلى بغداد فزاد استشعار مؤنس وصح عنده أن الحسين يسعى في التدبير عليه . وسنذكر تمام أمره سنة عشرين وثلاثمائة .

ذكر الحروب بين المسلمين والروم

في هذه السنة في ربيع الأول غزا ثمال والي طرسوس بلاد الروم فعبر نهرا ، ونزل عليهم ثلج إلى صدور الخيل ، وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم ، فنصر الله المسلمين . فقتلوا من الروم ستمائة واسروا نحوا من ثلاثة آلاف ، وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيئاً كثيراً .

وفيها في رجب ، عاد ثمال إلى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل ، فبلغوا عمورية ، وكان قد تجمع إليها كثير من الروم ، ففارقوها لما سمعوا خبر ثمال . ودخلها المسلمون فوجدوا فيها من الأمتعة والطعام شيئا كثيرا فأخذوه واحرقوا ما كانوا عمروه منها .

وأوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا انقرة وهي التي تسمى الآن انكورية، وعادوا سالمين لم يلقوا كيدا . فبلغت قيمة السبي مائة ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار، وكان وصولهم إلى طرسوس آخر رمضان .

وفيها كاتب ابن الديراني وغيره من الأرمن وهم بأطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النص حرة ، فسارت الروم في خلق كثير فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها، وقتل من المسلمين خلق كثير وأسروا كثيرا منهم . فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف ابن أبي الساج - وهو والي اذربيجان - فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة إلى ارمينية فوصلها في رمضان . وقصد بلد ابن الديراني ومن

وافقه لحربه وقتل أهله ونهب أموالهم . وتحصن ابن الديراني بقلعة له وبالغ الناس في كثرة القتلى من الأرمن حتى قيل : إنهم كانوا مائة م لف قتيل - والله أعلم - وسارت عساكر الروم إلى سميساط فحصروها فاستصرخ م هلها بسعيد بن حمدان وكان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة وشرط عليه غزو الروم وان يستنقذ ملطية منهم وكان أهلها قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد إليهم ، فحكموا على المسلمين. فلما جاء رسول أهل سميساط إلى سعيد بن حمدان تجهز وسار إليهم مسرعا فوصل وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه . وسار منها إلى ملطية وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني ، ومعهم بني بن نفيس صاحب المقتدر، وكان قد تنصر-وهو مع الروم - فلما أحسوا بإقبال سعيد خرجوا منها وخافوا أن يأتيهم سعيد في عسكره من خارج المدينة ويثور أهلها بهم فيهلكوا ففارقوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها أميرا وعاد عنها . فدخل بلد الروم غازيا في شوال وقدم بين يديه سريتين فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله إليها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في شوال جاء إلى تكريت سيل كبير من المطر نزل في البر، فغرق منها أربعمائة دار ودكان . وارتفع الماء في أسواقها أربعة عشر شبرا، وغرق خلق كثير من الناس ودفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يعرف بعضهم من بعض .

وفيها هاجت بالموصل ريح شديد فيها حمرة شديدة ثم اسودت حتى لا يعرف الإنسان صاحبه ، وظن الناس أن القيامة قد قامت ثم جاء الله تعالى بمطر فكشف ذلك . وفيها توفي أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي في شعبان وهو من متكلمي المعتزلة البغداديين .

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة
ذكر مسير مؤنس إلى الموصل

في هذه السنة في المحرم سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضباً للمقتدر، وسبب مسيره أنه لما صح عنده إرسال الوزير الحسين بن القاسم إلى هارون بن غريب ، ومحمد ابن ياقوت يستحضرهما زاد استيحاشه . ثم سمع بان الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجرية في دار الخليفة وقد اتفق فيهم ، وأن هارون بز، غريب قد قرب من بغداد أظهر الغضب وسار نحو الموصل . ووجه خادمه بشري برسالة إلى المقتدر فسأله الحسين عن الرسالة فقال: لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين . فأنفذ إليه المقتدر يأمره بذكر ما معه من الرسالة للوزير فامتنع وقال : ما أمرني صاحبي بهذا ، فسبه الوزير وشتم صاحبه ، وأمر بضربه وصادره بثلاثمائة ألف دينار وأخذ خطه بها ؟ وحبسه ونهب داره ، فلما بلغ . مؤنسا ما جرى إلى خادمه وهو ينتظر أن يطيب المقتدر قلبه ويعيده . فلما علم ذلك سار نحو الموصل ومعه جميع قواده ، فكتب الحسين إلى القواد ، والغلمان يأمرهم بالرجوع إلى بغداد فعاد جماعة، وسار مؤنس نحو الموصل في أصحابه ومماليكه ومعه من الساجية ثمانمائة رجل ، وتقدم الوزير بقبض أقطاع مؤنس وأملاك من معه فحصل من ذلك مال عظيم ، وزاد ذلك في محل الوزير عند المقتدر فلقبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدينار والدرهم وتمكن من الوزارة وولى وعزل ، وكان فيمن تولى أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي ولاه الوزير البصرة وجميع أعمالها بمبلغ لا يفي بالنفقات على البصرة وما يتعلق بها بل فضل لأبي يوسف . مقدار ثلاثين ألف دينار أحاله الوزير بها ، فلما علم ذلك الفضل بن جعفر بن مص مد بن الفرات ، استدرك على أبي يوسف ، وأظهر له الغلط في الضمان وأنه لا يمضيه . فاجاب إلى أن يقوم بنفقات البصرة ، ويحمل إلى بيت المال كل سنة ثمانين ألف دينار ، وانتهى ذلك إلى المقتدر

فحسن موقعه عنده ، فقصده الوزير فاستتر وسعى بالوزير إلى المقتدر إلى أن افسد حاله .

ذكر عزل الحسين عن الوزراة

وفيها عزل الحسين بن القاسم عن الوزارة ، وسبب ذلك أنه ضاقت عليه الأموال وكثرت الإخراجات فاستسلف في هذه السنة جملة وافرة أخرجها في سنة تسع عشرة ، فانهى هارون بن غريب ذلك إلى المقتدر فرتب معه الخصيبي ، فلما تولى معه نظر في أعماله فراه قد عمل حسبة إلى المقتدر ليس فيها عليه وجه وموه وأظهر ذلك للمقتدر فأمر بجمع الكتاب وكشف الحال فحضروا واعترفوا بصدق الخصيبي بذلك . وقابلوا الوزير بذلك ،، فقبض عليه في شهر ربيع الآخر . وكانت وزارته سبعة أشهر . واستوزر المقتدر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم إليه الحسين فلم يؤاخذه بإساءته .

ذكر استيلاء مؤنس على الموصل

قد ذكرنا مسير مؤنس إلى الموصل ، فلما سمع الحسين الوزير بمسيره كتب إلى سعيد ، وداود ابني حمدان وإلى ابن اخيهما ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ، يأمرهم بمحاربة مؤنس وصده عن الموصل . وكان مؤنس كتب في طريقه إلى رؤساء العرب يستدعيهم ويبذل لهم الأموال والخلع ويقول لهم : إن الخليفة قد ولاه الموصل ، وديار ربيعة ، واجتمع بنو حمدان على محاربة مؤنس إلا داود بن حمدان فإنه امتنع من ذلك لإحسان مؤنس إليه فإنه كان قد أخذه بعد أبيه ورباه في حجره ، وأحسن إليه احساناً عظيماً ، فلما امتنع من محاربته لم يزل به أخوته حتى وافقهم على ذلك . وذكروا له إساءة . الحسين ، وأبي الهيجاء ابني حمدان إلى المقتدر مرة بعد مرة . وأنهم يريدون أن يغسلوا تلك السيئة . ولما أجابهم قال لهم : " والله إنكم لتحملونني على البغي وكفران الإحسان وما آمن أن يجيئني سهم عائر فيقع في نحري فيقتلني " . فلما التقوا أتاه سهم كما وصف فقتله . وكان مؤنس إذا قيل له : إن داود عازم على قتالك ينكره ويقول : " كيف يقاتلني وقد أخذته طفلا وربيته في حجري " ؟ ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس واجتمع بنو حمدان في ثلاثين ألفا والتقوا واقتتلوا فانهزم بنو حمدان ولم يقتل منهم غير دواد وكان يلقب بالمجفجف . وفيه يقول بعض الشعراء وقد هجا أميرا :

لو كنت في ألف ألف كلهم بطل مثل المجفجف داود بن حمدان

وتحتك الريح تجري حيث تأمرها وفي يمينك سيف غير خوان

لكنت أول فرار إلى عدن إذا تحرك سيف من خراسان

وكان دواد هذا من أشجع الناس ،ودخل مؤنس الموصل ثالث صفر واستولى على أموال بني حمدان وديارهم ، فخرج إليه كثير من العساكر من بغداد والشام ومصر من أصناف الناس لإحسانه كان إليهم . وعاد إليه ناصر الدولة بن حمدان فصار معه ، وأقام بالموصل تسعة أشهر وعزم على الإنحدار إلى بغداد .

ذكر قتل المقتدر

لما اجتمعت العساكر على مؤنس بالموصل قالوا له : اذهب برضا إلى الخليفة فان أنصفنا وأجرى أرزاقنا وإلا قاتلناه . فانحدر مؤنس من الموصل في شوال وبلغ خبره جند بغداد فشغبوا وطلبوا أرزاقهم ففرق المقتدر فيهم أموالا كثيرة إلا أنه لم يشبعهم ، وأنفذ أبا العلاء سعيد بن حمدان . وصافيا البصري في خيل عظيمة إلى سر من رأى . وأنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في ألفي فارس ومعه الغلمان الحجرية إلى المعشوق . فلما وصل مؤنس إلى تكريت أنفذ طلائعه . فلما قربوا من المعشوق جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت يتسللون ويهربون إلى بغداد . فلما رأى ذلك رجع إلى عكبرا ، وسار مؤنس فتأخر ابن ياقوت وعسكره وعادوا إلى بغداد ، فنزل مؤنس بباب الشماسية ، ونزل ابن ياقوت وغيره مقابلهم . واجتهد المقتدر بابن خاله هارون بن غريب ليخرج فلم يفعل ، وقال : أخاف من كسمكري فإن بعضهم أصحاب مؤنس وبعضهم قد انهزم أمس من مرداويج ، فأخاف أن يسلموني وينهزموا عني ، فأنفذ إليه الوزير فلم يزل به حتى أخرجه . وأشاروا على المقتدر بإخراج المال منه ومن والدته ليرضي الجند ومتى سمع أصحاب مؤنس بتفريق الأموال تفرقوا عنه واضطر إلى الهرب فقال : لم يبق لي ولا لوالدتي جهة شيء ، وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط ويكاتب العساكر من جهة البصرة والأهواز ، وفارس ، وكرمان وغيرها ويترك بغداد لمؤنس إلى أن يجتمع عليه العساكر وبعود إلى قتاله فرده ابن ياقوت عن ذلك وزين له اللقاء وقوى نفسه ، بأن القوم متى رأوه عادوا بأجمعهم إليه فرجع إلى قوله - وهو كاره - ثم أشار عليه بحضور الحرب فخرج - وهو كاره - وبين يديه الفقهاء والقراء معهم والمصاحف مشهورة وعليه البردة

والناس حوله فوقف على تل عال بعيد عن المعركة فأرسل قواد أصحابه يسألونه التقدم مرة بعد أخرى وهو واقف . فلما الحوا عليه تقدم من موضعه فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم ، وكان قد أمر فنودي من جاء بأسير فله عشرة دنانير ، ومن جاء برأس فله خمسة دنانير . فلما انهزم أصحابه لقيه علي بن يلبق –وهو من أصحاب مؤنس -فترجل وقبل الأرض وقال له : إلى أين تمضي ؟ أرجع فلعن الله من أشار عليك بالحضور ، فأراد الرجوع فلقيه قوم من المغاربة والبربر ، فتركه علي معهم وسار عنه . فشهروا عليه سيوفهم فقال : ويحكم أنا الخليفة . فقالوا : قد عرفناك يا سفلة أنت خليفة ابليس تبذل في كل رأس خمسة دنانير وفي كل أسير عشرة دنانير وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض وذبحة بعضهم ، فقيل : إن علي بن يلبق غمز بعضهم فقتله (1).

وكان المقتدر ثقيل البدن عظيم الجثة فلما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة وهم يكترون ويلعنونه ، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، وتركوه مشكوف العورة إلى أن مر به رجل من الأكرة فستره بحشيش ثم حفر له موضعه ودفن وعفي قبره .

وكان مؤنس في الراشدية لم يشهد الحرب فلما حمل رأس المقتدر إليه بكى

ولطم وجهه ورأسه وقال : يا مفسدون ما هكذا أوصيتكم وقال : قتلتموه وكان هذا آخر أمره والله لنقتلن كلنا ، وأقل ما في الأمر أنكم تظهرون أنكم قتلتموه خطأ ولم تعرفوه ، وتقدم مؤنس إلى الشماسية وأنفذ إلى دار الخليفة من يمنعها من النهب . ومضى عبد الواحد بن المقتدر ، وهارون بن غريب ، ومحمد بن ياقوت ، وابنا رائق إلى اله إلى المدائن ، وخان ما فعله مؤنس سببا لجراءة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعهم فيما لم يكن يخطر لهم على بال وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة حتى صار الأمر إلى ما نحكيه ، على أن المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيرا وحكم فيها النساء

(1) في تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي رواية عن الصولي " قتل المقتدر البربري : وقيل : كان غلاماً ليلبق وكان بطلاً شجاعاً تعجب الناس منه يومئذ مما فعل من صناعات الفروسية من اللعب بالرمح والسيف ثم حمل المقتدر وضربه بحربة أخرجها من ظهره ، فصاح الناس عليه فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر ، فصادفه حمل شرك فزحمه وفي - يسوق حمل الشوك إلى قنار لحمام فعلقه كلاب وجرح الفرس في مشواره من نحته فمات فحطه الناس واحرقوه بالحمل الشرك .

والخدم وفرط في الأموال ، وعزل من الوزراء وولى ما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنواب وخروجهم عن الطاعة . وكان جملة ما أخرجه من الأموال تبذيرا وتضييعا في غير وجه نيفا وسبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقه في الوجوه الواجبة ، وإذا اعتبرت أحوال الخلافة في أيامه وأيام أخيه المكتفي ووالده المعتضد رأيت بينهم تفاوتا بعيدا ، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة واحد عشر شهراً وستة عشر يوما ، وكان عمره ثمانية وثلاثين سنة نحوا من شهرين (ا).

ذكر خلافة القاهر بالله

لما قتل المقتدر بالله عظم قتله على مؤنس ، وقال : "الرأي أن ننصب ولده

أبا العباس أحمد في الخلافة فإنه تربيتي وهو صبي عاقل وفيه ديم كريم ووفاء بما يقول فاذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدته والدة المقتدر وإخوته . وغلمان أبيه ببذل الأموال ، ولم ينتطح في قتل المقتدر عنزان " . فاعترض عليه أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي وقال : بعد الكد والتعب استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود إلى تلك الحال ، والله لا نرضى إلا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا . وما زال حتى رد مؤنسا عن رأيه وذكر له أبا منصور محمد بن المعتضد ، فأجابه مؤنس إلى ذلك . وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلف . وإن القاهر قتله كما نذكره . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، وأمر مؤنس بإحضار محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا نن شوال ولقبوه القاهر بالله ، وكان مؤنس كارها لخلافته والبيعة له ويقول : إنني عارف بشره وسوء نيته ، ولكن لا حيلة،ولما بويع استحلفه مؤنس لنفسه ، ولحاجبه يلبق ، ولعلي بن يلبق وأخذوا خطه بذلك واستقرت الخلافة له وبايعه الناس ، واستوزر أبا علي بن مقلة - وكان بفارس - فاستقدمه ووزر له واستحجب القاهر علي بن يلبق .

وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحرمه ، وبمناظرة والدة المقتدر ، وكانت مريضة قد ابتدأ بها الاستسقاء وقد زاد مرضها بقتل ابنها . ولما

(1) وكان له من الولد أبو العباس الراضي محمد ، والعباس أبو أحمد ، وهارون ابو عبد الله ، وعبد الواحد ابو علي ، وابراهيم ابو اسحاق المتقي ، والفضل ابو القاسم المطيع . وعلي ابو الحسن ، واسحاق ابو يعقوب ، وعبد الملك ابو محمد . وعبد الصمد.

سمعت أنه بقي مكشوف العورة .جزعت جزعا شديدا وامتنعت من المأكول والمشروب حتى كادت تهلك فوعظها النساء حتى أكلت شيئا يسيرا من الخبز والملح ، ثم أحضرها القاهر عنده وسألها عن مالها فأعترفت له بما عندها من المصوغ ، والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجوهر ، فضربها أشد ما يكون من الضرب وعلقها برجلها ، وضرب المواضع الغامضة من بدنها فحلفت أنها لا تملك غير ما أطلعته عليه وقالت : لو كان عندي مال لما أسلمت ولدي للقتل ولم تعترف بشيء ، وصادر جميع حاشية المقتدر ، وأصحابه . وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد على نفسها القضاة ، والعدول بأنها قد حلت أوقافها ووكلت في بيعها ، فامتنعت من ذلك وقالت : قد أوقفتها على أبواب البر والقرب بمكة ، والمدينة ، والثغور وعلى الضعفى ، والمساكين ولا استحل حلها ولا بيعها ، وإنما أوكل على بيع أملاكي . فلما علم القاهر بذلك أحضر القاضي والعدول ، وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقوفها جميعها ، ووكل في بيعها فبيع ذلك جميعه مع غيره ، واشتراه الجند من أرزاقهم . وتقدم القاهر بكبس الدور التي سعى إليه ، أنه اختفى فيها ولد المقتدر فلم يزل كذلك إلى أن وجدوا منهم أبا العباس الراضي ، وهارون ، وعليا والعباس ، وإبراهيم ، والفضل فحملوا إلى دار الخليفة فصودروا على مال كثير ، وسلمهم علي بن يلبق إلى كاتبه الحسن بن هارون فأحسن صحبتهم ، واستقر أبو علي بن مقلة في الوزارة وعزل وولي . وقبض على جماعة من العمال وقبض على بني البريدي وعزلهم عن أعمالهم وصادرهم .

ذكر وصول وشمكير إلى أخيه مرداويج

وفيها أرسل مرداويج إلى أخيه وشمكير - وهو ببلاد جيلان - يستدعيه إليه . وكان الرسول ابن الجعد قال : أرسلني مرداويج وأمرني بالتلطف لإخراج أخيه وشمكير إليه ، فلما وصلت سألت عنه فدللت عليه فإذا هو مع جماعة يزرعون الأرز ، فلما رأوني قصدوني - وهم حفاة عراة عليهم سراويلات ملونة الخرق واكسية ممزقة - فسلمت عليه وأبلغته رسالة أخيه ، وأعلمته بما ملك من البلاد والأموال وغيرها . فضرط بفمه في لحية أخيه وقال : إنه لبس السواد وخدم المسودة -يعني الخلفاء من بني العباس -فلم أزل أمنيه وأطمعه حتى خرج معي ، فلما بلغنا قزوين اجتهدت به ليلبس السواد ، فامتنع ثم لبس بعد الجهد قال : " فرأيت من جهله أشياء استحي من ذكرها" ثم أعطته

السعادة ما كان له في الغيب ، فصار من أعرف الملوك بتدبير الممالك وسياسة الرعايا .

ذكر عدة حوادث

فيها توفي القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد وكان عالما فاضلا حليما(ا) ، وأبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي وكان عابدا ورعا أرتيد على القضاء فلم يفعل (2) . وفيها توفي أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الشافعي الجرجاني المعروف بالأسترابادي .

(1) كان مولى جرير بن حازم ولي قضاء مدينة المنصور وكان عاملا دينا متفننا وهو من ائمة الاسلام علما ومعرفة وفصاحة وبلاغة وعقلا ورياسة بحيث كان يضرب بعقله المثل توفي في رمضان منها عن ثمان وسبعين

(2) كان من افاضل الشيوخ واماثل الفقهاء ، وقع في نسخة الأصل " بن خيزران " وهو غلط .

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثلاثمائة

ذكر حال عبد الواحد بن المقتدر ومن معه

قد ذكرنا هرب عبد الواحد بن المقتدر ، وهارون بن غريب ، ومفلح ، ومحمد بن ياقوت ، وابنا رائق بعد قتل المقتدر إلى المدائن . ثم انهم انحدروا منها إلى واسط وأقاموا بها وخافهم الناس ، فابتدأ هارون بن غريب وكتب إلى بغداد يطلب الأمان ، ويبذل مصادرة ثلاثمائة ألف دينار على أن يطلق له أملاكه ، وينزل عن الأملاك التي استأجرها ويؤدي من أملاكه حقوق بيت المال القديمة ، فأجابه القاهر ومؤنس إلى ذلك ، وكتبوا له كتاب أمان وقلد أعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهرجانقذق ، وسار إلى بغداد .

وخرج عبد الواحد بن المقتدر من واسط فيمن بقي معه ومضوا إلى السوس وسوق الأهواز وجبوا المال وطردوا العمال وأقاموا بالأهواز فجهز مؤنس إليهم جيشا كثيفا ، وجعل عليهم يلبق ، وكان الذي حرضهم على أنفاذ الجيش أبو عبد الله البريدي فإنه كان قد خرج من الحبس ، فخوفهم عاقبة إهمال عبد الواحد ، ومن معه وبذل مساعدة معجلة خمسين آلاف دينار ، على أن يتولى الأهواز ، وعند استقراره بتلك البلاد يعجل باقي المال . وأمر مؤنس بالتجهز وأنفق ذلك المال وسار العسكر ، وفيهم أبو عبد الله . وكان محمد بن ياقوت قد استبد بالأموال والأمر فنفرت لذلك قلوب من معه من القواد والجند ، فلما قرب العسكر من واسط أظهر من معه من القواد ما في نفوسهم وفارقوه .

ولما وصل يلبق إلى السوس فارق عبد الواحد ، ومحمد بن ياقوت الأهواز وسارا إلى تستر فعلم القراريطي . وكان مع العسكر بأهل الأهواز ما لم يفعله أحد،نهب أموالهم وصادرهم جميعهم ولم يسلم منهم أحد ونزل عبد الواحد . وابن ياقوت بتستر

وفارقهما من معهما من القواد إلى يلبق بأمان . وبقي مفلح . ومسرور الخادم مع عبد الواحد فقالا لمحمد بن ياقوت : " أنت معتصم بهذه المدينة وبمالك ورجالك ، وأما نحن فلا مال معنا ولا رجال ، ومقامنا معك يضرك ولا ينفعك وقد عزمنا على أخذ الأمان لنا ولعبد الواحد بن المقتدر " . فأذن لهما في ذلك ، فكتب إلى يلبق فأمنهم فعبروا إليه ، وبقي محمد بن ياقوت منفردا فضعفت نفسه وتحير فتراسل هو ويلبق واستقر بينهما أنه يخرج إلى يلبق على شرط أنه يؤمنه ويضمن له امان مؤنس والقاهر ، ففعل ذلك وحلف له .

وخرج محمد بن ياقوت معه إلى بغداد واستولى أبو عبد الله البريدي على البلاد وعسف أهلها وأخذ أموال التجار ، وعمل بأهل البلاد ما لا يعمله الفرنج ولم يمنعه أحد عما يريد ولم يكن عنده من الدين ما يزغه عن ذلك ، وعاد اخوته إلى أعمالهم . ولما عاد عبد الواحد ومحمد بن ياقوت وفى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لوالدته المصادرة التي صادرها بها .

ذكر استيحاش مؤنس وأصحابه من القاهر

في هذه السنة استوحش مؤنس المظفر ، ويلبق الحاجب ، وولده علي والوزير أبو علي بن مقلة من القاهر وضيقوا عليه وعلى أسبابه . وكان سبب ذلك أن محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر وعلت منزلته وصار يخلو به ويشاوره فغلظ ذلك على ابن مقلة لعداوة كانت بينه وبين محمد . فألقى إلى مؤنس أن محمدا يسعى به عند القاهر وأن عيسى الطبيب يسفر بينهما في التدبير عليه . فوجه مؤنس علي بن يلبق لإحضار عيسى الطبيب فوجده بين يدي القاهر ، فأخذه وأحضره عند مؤنس فسيره من ساعته إلى الموصل ، واجتمعوا على الإيقاع بمحمد بن ياقوت ، وكان في الخيام فركب علي بن يلبق في جنده ليكبسه ، فوجده قد اختفى فنهب أصحابه واستتر محمد بن ياقوت . ووكل علي بن يلبق على دار الخليفة أحمد بن زيرك وأمره بالتضييق على القاهر ، وتفتيش كل من يدخل من الدار ويخرج منها وأن يكشف وجوه النساء المنقبات ، وإن وجد مع أحد رقعة دفعها إلى مؤنس . ففعل ذلك وزاد عليه حتى أنه حمل إلى دار الخليفة لبن ، فأدخل يده فيه لئلا يكون رقعة . ونقل يلبق من كان بدار القاهر محبوسا إلى داره كوالدة المقتدر وغيرها ، وقطع أرزاق حاشيته ، فأما والدة المقتدر فأنها كانت قد اشتدت علتها

لشدة الضرب الذي ضربها القاهر ، فأكرمها علي بن يلبق ، وتركها عند والدته فماتت في جمادى الآخرة وكانت مكرمة مرفهة(1) ودفنت بتربتها بالرصافة .

وضيق علي بن يلبق على القاهر فعلم القاهر أن العتاب لا يفيد وأن ذلك برأي مؤنس . وابن مقلة ، فاخذ في الحيلة والتدبير على جماعتهم . وكان قد عرف فساد قلب طريف السبكري وبشري خادم مؤنس ليلبق ، وولده علي وحسدهما على مراتبهما فشرع في إغرائهما ليلبق . وابنه ، وعلم أيضا أن مؤنسا ، ويلبق أكثر اعتمادهما على الساجية أصحاب يوسف بن أبي الساج ، وغلمانه المنتقلين إليهما بعده ، وكانا قد وعدا الساجية بالموصل مواعيد أخلفاها ، فأرسل القاهر إليهم يغريهم بمؤنس ، ويلبق ويحلف لهم على الوفاء بما أخلفاهم فتغيرت قلوب الساجية ، ثم إنه راسل أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، وكان من أصحاب ابن مقلة وصاحب مشورته ، ووعده الوزارة فكان يطالعه بالأخبار ، وبلغ ابن مقلة أن القاهر قد تغير عليه وأنه مجتهد في التدبير عليه وعلى مؤنس ، ويلبق وابنه علي ، والحسن بن هارون فأخبرهم ابن مقلة بذلك .

ذكر القبض على مؤنس ويلبق

في هذه السنة أول شعبان قبض القاهر بالله على يلبق وابنه ومؤنس المظفر . وسبب ذلك أنه لما ذكر ابن مقلة لمؤنس ويلبق ما هو عليه القاهر من التدبير في استئصالهم خافوه ، وحملهم الخوف على الجد في خلعه . واتفق رأيهم على استخلاف أبي أحمد بن المكتفي وعقدوا له الأمر سراً . وحلف له يلبق وابنه علي ، والوزير أبو علي بن مقلة ، والحسن بن هارون وبايعوه ، ثم كشفوا الأمر لمؤنس فقال لهم : لست أشك في شر القاهر وخبثه ، ولقد كنت كارهاً لخلافته ، وأشرت بابن المقتدر فخالفتم ، وقد بلغتم الآن في الاستهانة به وما صبر على الهوان إلا من خبث طوبته ليدبر عليكم . فلا تعجلوا محلى أمر حتى تؤنسوه وينبسط إليكم ثم فتشوا لتعرفوا من واطأه من القواد ومن الساجية ، والحجرية(2) ثم اعملوا على ذلك . فقال علي بن يلبق . والحسن بن هارون : " ما

(ا) وكان اسمها شغب كان متحصلها في السنة ألف ألف دينار فتتصدق لها وتخرج من عندها مثلها وكانت مالحة وكان لها الأمر والنهي في دولة ابنها .

(2) نسبة إلى حجر- بالفتح - وهي قبيلة مشهورة .

يحتاج إلى هذا التطويل ، فان الحجبة لنا والدار في أيدينا وما يحتاج أن نستعين في القبض عليه بأحد لأنه بمنزلة طائر في قفص " . وعملوا على معاجلته ، فاتفق أن سقط يلبق عن الدابة فاعتل ولزم منزله ، واتفق ابنه علي وأبو علي بن مقلة وزينا لمؤنس خلع القاهر وهونا عليه الأمر فأذن لهما . فاتفق رأيهما على أن يظهروا أن أبا طاهر القرمطي قد ورد الكوفة في خلق كثير ، وأن علي بن يلبق سائر إليه في الجيش ليمنعه عن بغداد . فإذا دخل على القاهر ليودعه ويأخذ أمره فيما يفعل قبض عليه . فلما اتفقا على ذلك جلس ابن مقلة وعنده الناس فقال لأبي بكر بن قرابة : " أعلمت أن القرمطي قد دخل الكوفة في ستة آلاف مقاتل بالسلاح التام ؟ " قال : لا . قال ابن مقلة : " قد وصلنا كتب النواب بها بذلك . فقال ابن قرابة : " هذا كذب ومحال فإن في جوارنا إنسانا من الكوفة وقد أتاه اليوم كتاب على جناح طائر تاريخه اليوم يخبر فيه بسلامه " . فقال له ابن مقلة : " سبحان الله أنتم أعرف منا بالأخبار " . فسكت ابن قرابة . وكتب ابن مقلة إلى الخليفة يعرفه ذلك ، ويقول له : " إني قد جهزت جيشا مع علي بن يلبق ليسير يومنا هذا والعصر ، يحضر إلى الخدمة ليأمره مولانا بما يراه " . فكتب القاهر في جوابه يشكره ويأذن له في حضور ابن يلبق فجاءت رقعة القاهر- وابن مقلة نائم – فتركوها ولم يوصلوها إليه . فلما استيقظ عاد ، وكتب رقعة أخرى في المعنى فأنكر القاهر الحال حيث قد كتب جوابه وخاف أن يكون هناك مكر . وبينا هو في هذا إذا وصلت رقعة طريف السبكري يذكر أن عنده نصيحة ، وأنه قد حضر في زي امرأة لينهيها إليه . فاجتمع به ، القاهر فذكر له جميع ما قد عزموا عليه ، وما فعلوه من التدبير ليقبض ابن يلبق عليه إذا اجتمع به ، وأنهم قد بايعوا أبا أحمد بن المكتفي . فلما سمع القاهر ذلك أخذ حذره وأنفذ إلى الساجية أحضرهم متفرقين وكمنهم في الدهاليز والممرات ، والرواقات ، وحضر علي بن يلبق بعد العصر . وفي رأسه نبيذ ، معه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف في طيارة، وأمر جماعة من عسكره بالركوب إلى أبواب دار الخليفة ، وصعد من الطيارة وطلب الإذن فلم يأذن له القاهر ، فغضب وأساء أدبه . وقال : " لا بد من لقائه شاء أو أبى " . وكان القاهر قد أحضر الساجية كما ذكرنا - وهم عنده في الدار - فأمرهم القاهر برده فخرجوا إليه وشتموه وشتموا أباه وشهروا سلاحهم وتقدموا إليه جميعهم ، ففر أصحابه عنه وألقى نفسه في الطيارة وعبر إلى الجانب الغربي واختفى من ساعته .

فبلغ ابن مقلة الخبر فاستتروا واستتر الحسن بن هارون أيضا، فلما سمع طريف الخبر ركب في أصحابه وعليهم السلاح وحضروا دار الخليفة ووقف القاهر فعظم الأمر حينئذ على ابن يلبق وجماعتهم ، وأنكر يلبق ما جرى على ابنه وسب الساجية وقال : "لا بد من المضي إلى دار الخليفة فإن كان الساجية فعلوا هذا بغير تقدم قابلتهم بما يستحقونه وإن كان بتقدم سألته عن سبب ذلك " . فحضر دار الخليفة ومعه جميع القواد الذين بدار مؤنس ، فلم يوصله القاهر إليه وأمر بالقبض عليه وحبسه . وأمر بالقبض على أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وحصل الجيش كلهم في الدار فانفذ القاهر وطيب نفوسهم ووعدهم الزيادة وأنه يوقف هؤلاء على ذنوبهم ثم يطلقهم ويحسن إليهم فعادوا .

وراسل القاهر مؤنسا يسأله الحضور عنده ليعرض عليه ما رفع عليهم ليفعل ما يراه وقال : أنه عندي بمنزلة الوالد وما أحب أن أعمل شيئا إلا عن رأيه . فاعتذر مؤنس عن الحركة، ونهاه أصحابه عن الحضور عنده . فلما كان الغد أحضر القاهر طريفا السبكري وناوله خاتمه وقال له : قد فوضت إلى ولدي عبد الصمد ما كان المقتدر فوضه إلى ابنه محمد وقلدتك خلافته ورياسة الجيش ، وإمارة الأمراء ، وبيوت الأموال كما كان ذلك إلى مؤنس ويجب أن تمضي إليه وتحمله إلى الدار فإنه ما دام في منزله يجتمع إليه من يريد الشر ولا نأمن تولد شغل فيكون ههنا مرفها ومعه من أصحابه من يخدمه على عادته ، فمض إلى دار مؤنس وعنده أصحابه في السلاح - وهو قد استولى عليه الكبر والضعف - فسأله أصحاب مؤنس عن الحال فذكر سوء صنيع يلبق وابنه فكلهم سنهما وعرفهم ما أخذ لهم من الأمان والعهود فسكتوا ، ودخل إلى مؤنس وأشار عليه بالحضور عند القاهر وحمله عليه وقال له : إن تأخرت طمع ولو رآك نائما ما تجاسر أن يوقظك . وكان موافقا مؤنس وأصحابه لما نذكره .

فسار مؤنس إليه فلما دخل الدار قبض القاهر عليه وحبسه ولم يره ، قال طريف : لما أعلمت القاهر بمجيء مؤنس ارتعد وتغيرت أحواله وزحف من صدر فراشه فخفته أن أكلمه في معناه ، وعلمت أنني قد أخطأت وندمت وتيقنت أنني لاحق بم القوم عن قريب وذكرت قول مؤنس فيه : إنه يعرفه بالهوج والشر والأقدام والجهل وكان أمر الله قدرا مقدورا . وكانت وزارة ابن مقلة هذه تسعة أشهر وثلاثة أيام؛ واستوزر القاهر أبا

جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله مستهل شعبان وخلع عليه . وأنفذ القاهر وختم على دور مؤنس ويلبق وابنه علي وابن مقلة وأحمد بن زيرك ، والحسن بن هارون ونقل دوابهم ووكل بحرمهم ، وأنفذ استقدم عيسى المتطبب من الموصل ، وأمر بنقل ما في دار ابن مقلة وإحراقها فنهب ، وأحرقت ونهبت دور المتعلقين بهم . وظهر محمد بن ياقوت وقام بالحجبة ، ثم رأى كراهية طريف السبكري والساجية له فاختفى وهرب إلى أبيه بفارس ، فكاتبه القاهر يلومه على عجلته بالهرب وقلده كور الأهواز .

وكان السبب في ميل طريف السبكري ، والساجية والمجرية إلى القاهر ومواطأتهم على مؤنس ، ويلبق ، وابنه ما نذكره . وهو أن طريفا كان قد أخذ قواد مؤنس وأعلاهم منزلة . وكان يلبق وابنه ممن يقبل يده لي يخدمه . فلما استخلف القاهر بالله تقدم يلبق ، وابنه وحكما في الدولة كما ذكرناه . وأهمل ابن يلبق جانب طريف وقصده وعطله من أكثر أعمالها . فلما طالت عطلته استحيا منه يلبق وخاف جانبه فعزم على استعماله على ديار مصر ليقضي حقه وببعده ومعه أعيان رفقائه ليأمنهم . وقال ذلك للوزير أبي علي بن مقلة فرآه صوابا، فاعتذر يلبق إلى طريف لسبب عطلته ، وأعلمه بحديث مصر فشكره ، وشكر الوزير أيضا . فمنع علي بن يلبق من إتمامه وتولى هو العمل وأرسل إليه من يخلفه فيه فصار طريف عدوا يتربص بهم الدوائر .

وأما الساجية فانهم كانوا عدة مؤنس وعضده وساروا معه إلى الموصل وعادوا معه إلى قتال المقتدر ووعدهم مؤنس المظفر بالزيادة . فلما قتل المقتدر لم يروا لميعاده وفاء ثناه عنه ابن يلبق واطرحهم ابن يلبق أيضا وأعرض عنهم . وكان من جملتهم خادم أسود اسمه صندل ، وكان من أعيانهم ، وكان له خادم اسمه مؤتمن فباعه ، فاتصل بالقاهر قبل خلافته . فلما استخلف قدمه وجعله لرسائله ، فلما بلي القاهر بابن يلبق وسوء معاملته كان كالغريق يتمسك بكل شيء ، وكان خبيرا بالدهاء والمكر . فأمر مؤتمنا أن يقصد صندلا الساجي الذي باعه ، ويشكو من القاهر، فإن رأى منه ردا لما يقوله أعلمه بحال القاهر وما يقاسي من ابن يلبق وابنه ، وإن رأى منه خلاف ذلك سكت ، فجاء إليه وفعل ما أمره فلما شكا قال له صندل : وفي أي شيء ؟ هو الخليفة حتى يعطيك ويوسع عليك إن فرج الله عنه من هذا المفسد احتجت أنا وغيري إليك والله على صوم وصدقة إن ملك الخليفة أمره واستراح وارحنا من هذا الملعون . فأعاد

مؤتمن الحديث على القاهر فأرسل على يده هدية جميلة من طيب وغيره إلى زوجة صندل وقال له : تحمله إليها وزوجها غائب عنها وتقول لها : إن الخليفة قسم فينا شيئا وهذا من نصيبي أهديته إليكم ففعل هذا فقبلته ، ثم عاد إليها من الغد وقال : أي شيء قال صندل لما رأى انبساطي عليكم ؟ فقالت : اجتمع هو وفلان وفلان وذكرت ستة نفر من أعيانهم ورأوا ما أهديت إلينا فاستعملوا منه ودعوا للخليفة . فبينما هو عندها إذ حضر زوجها فشكر مؤتمنآ، وسأله عن أحوال الخليفة فأثنى عليه ، ووصفه بالكرم وحسن الأخلاق وصلابته في الدين . فقال صندل : إن ابن يلبق نسبه إلى قلة الدين ويرميه بأشياء قبيحة . فحلف مؤتمن على بطلان ذلك وأن جميعه كذب .

ثم أمر القاهر مؤتمنا أن يقصد زوجة صندل ويستدعيها إلى قهرمانة القاهر ، فتحضر متنكرة على أنها قابلة يأنس بها من عند القاهر لما كانوا بدار ابن طاهر وقد حضرت لحاجة بعض م هل الدار إليها . ففعلت ذلك ودخلت الدار، وباتت عندهم . فحملها القاهر رسالة إلى زوجها ورفقائه ، وكتب إليهم رقعة بخطه ويعدهم بالزيادة في الأقطاع والجاري ، وأعطاها لنفسها مالا فعادت إلى زوجها وأخبرته بما كان جميعه . فوصل الخبر إلى ابن يلبق أن امرأة من دار ابن طاهر دخلت إلى دار الخليفة . فلهذا منع ابن يلبق من دخول امرأة حتى تبصر وتعرف .

وكان للساجية قائد كبير اسمه سيما وكلهم يرجعون إلى قوله ، فاتفق صندل ومن معه على إعلام سيما بذلك إذ لا بد لهم منه وأعلموه برسالة القاهر إليهم فقال : هذا صواب والعاقبة فيه جميلة ولكن لا بد من أن يدخلوا في الأمر بعض هؤلاء القوم -يعني أصحاب يلبق ومؤنس - وليكن من أكابرهم - فاتفقوا على طريف السبكري ، وقالوا : هو أيضا متسخط فحضروا عنده وشكوا إليه ما هم فيه وقالوا : لو كان الاستاذ -يعنون مؤنسا - يملك أمره لبلغنا مرادنا ولكن قد عجز وضعف واستبد عليه ابن يلبق بالأمور . فوجدوا عنده من كراهتهم أضعاف ما أرادوا فأعلموه حينئذ حالهم ، فأجابهم إلى موافقتهم واستحلفهم أنه لا يلحق مؤنسا ويلبق ، وابنه مكروه وأذى في أنفسهم ، وأبدانهم وأموالهم ،وإنما يلزم يلبق وابنه بيوتهم ويكون مؤنس على مرتبته لا يتغير . فحلفوا على ذلك وحلف لهم على الموافقة، وطلب خط القاهر بما طلب فأرسلوا إلى القاهر بما كان فكتب إليهم بما أرادوا وزاد بأن قال : إنه يصلي بالناس ويخطب أيام

الجمع ويحج بهم ويغزو معهم ويقعد للناس ، ويكشف مظالمهم إلى غير ذلك من حسن السيرة .

ثم إن طريفا اجتمع بجماعة من رؤساء الحجرية ، وكان ابن يلبق قد أبعدهم عن الدار وأقام بها أصحابه فهم حنقون عليه . فلما أعلمهم طريف الأمر أجابوه إليه ، فظهر شيء من هذا الحديث إلى ابن مقلة وابن يلبق ولم يعلموا تفصيله ، فاتفقوا على أن يقبضوا على جماعة من قواد الساجية والحجرية فلم يقدموا عليهم خوف الفتنة ، وكان القاهر قد أظهر مرضا من دماميل وغيرها ، فم احتجب عن الناس خوفا منهم فلم يكن يراه أحد إلا خواص خدمه في الأوقات النادرة ، فتعذر على ابن مقلة ، وابن يلبق الاجتماع به ليبلغوا منه ما يريدون ، فوضعا ما ذكرناه من أخبار القرامطة ليظهر لهم ويفعلوا به ما أرادوا ولما قبض القاهر على مؤنس وجماعته استعمل القاهر على الحجبة سلامة الطولوني ، وعلى الشرطة أبا العباس أحمد بن خاقان ، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، وأمر بالنداء على المستترين وإباحة مال من أخفاهم وهدم داره ، وجد في طلب أحمد بن المكتفي فظفر به فبنى عليه حائطا وهو حي فمات ، وظفر بعلي ابن يلبق فقتله .

ذكر قتل مؤنس ويلبق وولده علي والنوبختي

وفيها في شعبان قتل القاهر مؤنسا المظفر ويلبق وعلي بن يلبق . وكان سبب قتلهم أن أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا وتبعهم سائر الجند وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر ونادوا بشعار مؤنس ، وقالوا لا نرضى إلا بإطلاق مؤنس . وكان القاهر قد ظفر بعلي بن يلبق ، وأفرد كل واحد منهم في منزل ، فلما شغب الجند دخل القاهر إلى علي بن يلبق فأمر به فذبح واحتز رأسه فوضعوه في طشت ثم مضى القاهر والطشت يحمل بين يديه حتى دخل على يلبق فوضع الطشت بين يديه ، وفيه رأس ابنه . فلما رآه بكى وأخذ يقبله ، ويترشفه فأمر به القاهر فذبح أيضا . وجعل رأسه في طشت ، وحمل بين يدي القاهر، ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه ، فلما رأى الرأسين تشهد واسترجع ولعن قاتلهما، فقال القاهر: جروا برجل الكلب الملعون فجروه ، وجعلوا رأسه في طشت. وأمر بالرؤوس . فطيف بها في جانبي بغداد ونودي عليها هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى في فساد دولته . ثم أعيدت ونظفت وجعلت في خزانة

الرؤوس كما جرت العادة ،وقيل : إنه قتل يلبق وابنه مستخف ، ثم ظفر بابنه بعد ذلك فأمر به فضرب ، فاقبل ابن يلبق على القاهر وسبه أقبح سب وأعظم شتم ، فأمر به القاهر فقتل ، وطيف برأسه في جانبي بغداد. ثم أرسل إلى ابن يعقوب النوبختي وهو في مجلس وزيره محمد بن القاسم فأخذه وحبسه . ورأى الناس من شدة القاهر ما علموا معه أنهم لا يسلمون من يده ، وندم كل من أعانه من سبك والساجية والحجرية حيث لم ينفعهم الندم .

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم للخليفة وعزله ووزارة الخصيبي

لما قبض القاهر بالله على مؤنس ويلبق . وابنه سأل عمن يصلح للوزارة فدل على أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيدالله فاستوزره فبقي وزيرا إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة . فأرسل القاهر فقبض عليه وعلى أولاده وعلى أخيه عبيدالله وحرمه ، وكان مريضا بقولنج فبقي محبوسا ثمانية عشر يوما ومات ، فحمل إلى منزله ، وأطلق أولاده . واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيدالله بن سليمان الخصيبي . وكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يوما .

ذكر القبض على طريف السبكري

لما تمكن القاهر وقبض على مؤنس وأصحابه وقتلهم ولم يقف على اليمين والأمان اللذين كتبهما لطريف ، وكان القاهر يسمع طريفا ما يكره ويستخف به ، ويعرض له بالأذى، فلما رأى ذلك خافه وتيقن القبض عليه والقتل فوصى وفرغ من جميع ما يريده . واشتغل القاهر عنه بقبض من قبض عليه من وزير وغيره . ثم أحضره بعد أن قبض على وزيره أبي جعفر فقبض عليه ، فتيقن القتل إسوة بمن قتل من أصحابه ، ورفقائه فبقي محبوسا يتوقع القتل صباحا ومساء إلى أن خلع القاهر.

ذكر أخبار خراسان

في هذه السنة سار مرداويج من الري إلى جرجان وبها أبو بكر محمد بن المظفر مريضا فلما قصده مرداويج عاد إلى نيسابور. وكان السعيد نصر بن أحمد بنيسابور، فلما بلغها محمد بن المظفر سار السعيد نحو جرجان ، وكاتب محمد بن عبيدالله البلغمي ، مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله ، فمال إليه فانتهى الخبر بذلك إلى

مرداويج فقبض عليه مطرف وقتله . وأرسل محمد بن عبيدالله البلغمي إلى مرداويج يقول له : "أنا أعلم أنك لا تستحسن كفر ما يفعله معك الأمير السعيد، وإنك إنما حملك على قصد جرجان وزيرك مطرف ليرى أهلها محله منك ، كما فعله أحمد بن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث . حمل عمراً على قصد بلخ ليشاهد أهلها منزلته من عمرو فكان منه ما بلغك ، وأنا لا أرى لك مناصبة ملك يطيف به مائة ألف رجل من غلمانه ومواليه وموالي أبيه . والصواب أنك تترك جرجان له ، وتبذل عن الري مالا تصالحه عليه " . ففعل مرداويج ذلك وعاد عن جرجان وبذل عن الري مالا، وعاد إليها وصالحه السعيد عليها .

ذكر ولاية محمد بن المظفر على خراسان

ولما فرغ السعيد من أمر جرجان وأحكمه استعمل أبا بكر محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان . ورد إليه تدبير الأمور بنواحي خراسان جميعها ، وعاد إلى بخاري مقر عزه وكرسي ملكه ، وكان سبب تقدم محمد بن المظفر، أنه كان يوما عند السعيد وهو يحادثه في بعض مهماته خاليا، فلسعته عقرب في إحدى رجليه عدة لسعات ، فلم يتحرك ولم يظهر عليه أثر ذلك . فلما فرغ من حديثه وعاد محمد إلى منزله نزع خفه فرأى العقرب فأخذها. فانتهى خبر ذلك إلى السعيد فأعجب به وقال : ما عجبت إلا من فراغ بالك لتدبير ما قلته لك فهلا قمت وأزلتها؟ فقال : ما كنت لأقطع حديث الأمير بسبب عقرب ، وإذا لم أصبر بين يديك على لسعة عقرب ، فكيف أصبر وأنا بعيد منك على حد سيوف أعداء دولتك إذا دفعتهم عن مملكتك ؟ فعظم محله عنده وأعطاه مائتي ألف درهم .

ذكر ابتداء دولة بني بويه

وهم عماد الدولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر ابن شير كنده بن شيرزيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرويه بن سشتان شاه بن سيس فيروز بن شيروزيل بن سنباد بن بهرام جور الملك ابن يزدجرد الملك ابن هرمز الملك ابن شابور الملك ابن شابور ذي الأكتاف . وباقي النسب قد تقدم في أول الكتاب عند ذكر ملوك الفرس . هكذا ساق نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا رحمه الله . وأما ابن

مسكويه فإنه قال : انهم يزعمون انهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس ، إلا أن النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماكولا لأنه الامام العالم بهذه الأمور، وهذا نسب عريق في الفرس ولا شك أنهم نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم ، وأما ابتداء أمرهم فإن والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال فماتت زوجته وخلفت له ثلاثة بنين وقد تقدم ذكرهم ، فلما ماتت اشتد خزنه عليها . فحكى شهريار بن رستم الديلمي قال : كنت صديقا لأبي شجاع بويه فدخلت إليه يوما فعذلته على كثرة حزنه ، وقلت له : "أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن وربما مات أحدهم فيجدد ذلك من الأحزان ما ينسيك المرأة" . وسليته بجهدي وأخذته ففرحته وأدخلته ومعه أولاده إلى منزلي ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه .

فبينما هم كذلك اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه : انه منجم ومعزم ومعبر للمنامات ، ويكتب الرقي والطلسمات وغير ذلك . فأحضره أبو شجاع وقال له : "رأيت في منامي كأنني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة استطالت ، وعلت حتى كادت تبالغ السماء ثم انفجرت ، فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب ، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد، والعباد خاضعين لتلك النيران " . فقال المنجم : هذا منام عظيم لا أفسره إلا بخلعة وفرس ومركب فقال أبو شجاع : والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي ، فإن أخذتها بقيت عريانا قال المنجم : فعشرة دنانير قال : والله ما أملك دينارا فكيف عشرة فأعطاه شيئا فقال المنجم : "أعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ولجو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب " . فقال أبو شجاع : أما تستحي تسخر منا أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً؟ فقال المنجم : أخبرني بوقت ميلادهم فاخبره فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقتلها وقال : "هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده ، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن . فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده : إصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا فصفعوه – وهو يستغيث - ونحن نضحك منه . ثم أمسكوا فقال لهم : "اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك ". فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم .

ثم خرج من بلاد الديلم جماعة تقدم ذكرهم لتملك البلاد، منهم ما كان بن كالي وليلى بن النعمان وأسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار. وخرج مع كل واحد منهم خلق

كثير من الديلم . وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ما كان بن كالي - فلما كان من أمر ما كان ما ذكرناه من الإتفاق ،ثم الاختلاف بعد قتل أسفار واستيلاء مرداويج على ما كان بيد ما كان من طبرستان وجرجان ، وعود ما كان مرة أخرى إلى جرجان والدامغان وعوده إلى نيسابور مهزوما . فلما رأى أولاد بويه ضعفه وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة : "نحن في جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا وأنت مضيق والأصلح لك أن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا فإذا صلح أمرنا عدنا إليك " . فأذن لهما فسارا إلى مرداويج واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان وتبعوهما؛ فلما صاروا !ليه قبلهم أحسن قبول وخلع على بني بويه ، وأكرمهما وقلد كل واحد من قواد ما كان الواصلين إليه ناحية من نواحي الجبل . فأما علي بن بويه فإنه قلده كرج .

ذكر سبب تقدم علي بن بويه

كان السبب في ارتفاع علي بن بويه من بينهم بعد الأقدار أنه كان سمحا حليما شجاعا، فلما قلده مرداويج ، كرج وقلد جماعة القواد المستأمنة معه الأعمال ، وكتب لهم العهود ساروا إلى الري وبها وشمكير بن زيار أخو مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد - وهو والد أبي الفضل الذي وزر لركن الدولة بن بويه - وكان العميد يومئذ وزير مرداويج . وكان مع عماد الدولة بغلة شهباء من أحسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها مائتي دينار. فعرضت على العميد فأخذها وأنفذ ثمنها . فلما حمل الثمن إلى عماد الدولة أخذ منه عشرة دنانير، ورد الباقي وجعل معه هدية جميلة . ثم إن مرداويج ندم على ما فعل من توليه أولئك القواد البلاد فكتب إلى أخيه وشمكير والي العميد يأمرهما بمنعهم من المسير إلى أعمالهم وإن كان بعضهم قد خرج فيرد . وكانت الكتب تصل إلى العميد قبل وشمكير فيقرؤها ثم يعرضها على وشمكير. فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ إلى عماد الدولة يأمره بالمسير من ساعته إلى عمله ويطوي المنازل ، فسار من وقته وكان المغرب. وأما العميد، فلما أصبح عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج من الري واستعاد التوقيعات التي معهم بالبلاد، وأراد وشمكير أن ينفذ خلف عماد الدولة من يرده فقال العميد : إنه لا يرجع طوعا وربما قاتل من يقصده ويخرج عن طاعتنا فتركه .

وسار عماد الدولة إلى كرج وأحسن إلى الناس ولطف بعمال البلاد . فكتبوا إلى

مرداويج يشكرونه ويصفون ضبطه البلد وسياسته . وافتتح قلاعا كانت للخرمية وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعها إلى استمالة الرجال والصلات والهبات ، فشاع ذكره وقصده الناس وأحبوه . وكان مرداويج ذلك الوقت بطبرستان فلما عاد إلى الري أطلق مالا لجماعة من قواده على كرج ، فاستمالهم عماد الدولة ووصلهم وأحسن إليهم حتى مالوا إليه وأحبوا طاعته ، وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش وندم على انفاذ أولئك القواد إلى الكرج . وكتب إلى عماد الدولة وأولئك يستدعيهم إليه وتلطف بهم فدافعه عماد الدولة واشتغل بأخذ العهود عليهم وخوفهم من سطوة مرداويج ، فأجابوه جميعهم ، فجبى مال كرج واستأمن إليه شيرزاد - وهو من أعيان قواد الديلم - فقويت نفسه بذلك . وسار بهم عن كرج إلى أصبهان وبها المظفر بن ياقوت في نحو من عشرة آلاف مقاتل وعلى خراجها أبو علي بن رستم . فأرسل عماد الدولة إليهما يستعطفهما ويستأذنهما في الانحياز إليهما والدخول في طاعة الخليفة ليمضي إلى الحضرة ببغداد فلم يجيباه إلى ذلك . وكان أبو علي أشدهما كراهة ، فاتفق للسعادة أن أبا علي مات في تلك الأيام وبرز ابن ياقوت عن أصبهان ثلاثة فراسخ . وكان في أصحابه جيل وديلم مقدار ستمائة رجل فاستأمنوا إلى عماد الدولة لما بلغهم من كرمه ، فضعف قلب ابن ياقوت وقوي جنان عماد الدولة فواقعه ، واقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم ابن ياقوت واستولى عماد الدولة على أصبهان ، وعظم في عيون الناس ، لأنه كان في تسعمائة رجل ، هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل . وبلغ ذلك الخليفة فاستعظمه . وبلغ خبر هذه الوقعة مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده من البلاد واغتم لذلك غما شديدا .

ذكر استيلاء ابن بويه على ارجان وغيرها وملك مرداويج أصبهان

لما بلغ الوقعة إلى مرداويج خاف عماد الدولة بن بويه ، فشرع في أعمال الحيلة . فراسله يعاتبه ويستميله ، ويطلب منه أن يظهر طاعته حتى يمده بالعساكر الكثيرة ، ليفتح بها البلاد ولا يكلفه سوى الخطبة له في البلاد التي يستولي عليها. فلما سار الرسول جهز مرداويج أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبس ابن بويه ، وهو مطمئن إلى الرسالة التي تقدمت . فعلم ابن بويه بذلك فرحل عن أصبهان بعد أن جباها شهرين . وتوجه إلى أرجان وبها أبو بكر بن ياقوت ، فانهزم أبو بكر من غير قتال ، وقصد رامهرمز، واستولى ابن بويه على أرجان في ذي الحجة . ولما سارعن أصبهان دخلها وشمكير وعسكر أخيه

مرداويج وملكوها . فلما سمع القاهر أرسل إلى مرداويج قبل خلعه ليمنع أخاه عن أصبهان ويسلمها إلى محمد بن ياقوت ، ففعل ذلك ووليها محمد .

وأما ابن بويه فإنه ملك أرجان استخرج منها أموالا فقوي بها . ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يستدعيه ويشير إليه بالمسير إلى شيراز ويهون عليه أمر ياقوت ، وأصحابه ويعرفه تهوره واشتغاله بجباية الأموال وكثرة مؤنته ومؤنة أصحابه ، وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وجبنهم . فخاف ابن بويه أن يقصد ياقوتا مع كثرة عساكره وأمواله ، ويحصل بين ياقوت وولده فلم يقبل مشورته فلم يبرح من مكانه . فعاد أبو طالب وكتب إليه يشجعه ويعلمه أن مرداويج قد كتب إلى ياقوت يطلب مصالحته فإن تم ذلك اجتمعا على محاربته ولم يكن له بهما طاقة، ويقول له : إن الرأي لمن كان في مثل حاله أن يعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاجتماع والكثرة أن يحدقوا به من كل جانب ، فإنه إذا هزم من بين يديه خافه الباقون ولم يقدموا عليه . ولم يزل أبو طالب يراسله إلى أن سار نحو النوبندنجان في ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . وقد سبقه إليهما مقدم ياقوت في نحو ألفي فارس من شجعان أصحابه ، فلما وافاهم ابن بويه لم يثبتوا له لما لقيهم وانهزموا إلى كركان . وجاءهم ياقوت في جميع أصحابه إلى هذا الموضع ، وتقدم أبو طالب إلى وكلائه بالنوبندنجان بخدمة ابن بويه والقيام بما يحتاج إليه وتنحى هو عن البلد إلى بعض القرى حتى لا يعتقد فيه المواطأة له . فكان مبلغ ما خسر عليه في أربعين يوما مقدار مائتي ألف دينار. وأنفذ عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالا جليلة . فأنفذ ياقوت عسكرا إلى كازرون فواقعهم ركن الدولة فهزمهم - وهو في نفر يسير- وعاد غانما سالما إلى أخيه ، ثم إن عماد الدولة انتهى إلى مراسلة مرداويج ، وأخيه وشمكير إلى ياقوت ومراسلته إليهما فخاف اجتماعهم ، فسار من النوبندجان إلى إصطخر ثم إلى البيضاء وياقوت يتبعه ، وانتهى إلى قنطرة على طريق كرمان ، فسبقه ياقوت إليها ومنعه من عبورها واضطر إلى الحرب ، وذلك في آخر سنة إحدى وعشرين ، ودخلت سنة اثنتين وعشرين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اجتمعت بنو ثعلبة إلى بني أسد القاصدين إلى أرض الموصل ،

ومن معهم من طيء ، فصاروا يدا واحدة على بني مالك ، ومن معهم من تغلب وقرب بعضهم من بعض للحرب ، فركب ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان في أهله ورجاله ، ومعه أبو الأغر بن سعيد بن حمدان للصلح بينهم . فتكلم أبو الأغر فطعنه رجل من حزب بني ثعلبة فقتله . فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا وقتل منهم وملك بيوتهم ، وأخذ حريمهم وأموالهم . ونجوا على ظهور خيولهم وتبعهم ناصر الدولة إلى الحديثة . فلما وصلوا إليها لقيهم يأنس غلام مؤنس وقد ولي الموصل ، وهو مصعد إليها فانضم إليه بنو ثعلبة ، وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة .

وفيها ورد الخبر إلى بغداد بوفاة تكين الخاصة بمصر، وكان أميرا عليها فولي مكانه ابنه محمد وأرسل له القاهر بالله الخلع . وثار الجند بمصر فقاتلهم محمد وظفر بهم . وفيها أمر علي بن يلبق قبل قبضه وكاتبه الحسن بن هارون بلعن معاوية بن أبي سفيان ، وابنه يزيد على المنابر ببغداد، فاضطربت العامة . فأراد علي بن يلبق أن يقبض على البربهاري رئيس الحنابلة(ا) وكان يثير الفتن هو وأصحابه فعلم بذلك فهرب . فأخذ جماعة من أعيان أصحابه وحبسوا وجعلوا في زورق وأحدروا إلى عمان . وفيها أمر القاهر بتحريم الخمر والغناء وسائر الأنبذة ونفى بعض من كان يعرف بذلك إلى البصرة والكوفة . وأما الجواري المغنيات فأمر ببيعهن على أنهن سواذج لا يعرفن الغناء . ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء فاشترى منها ما أراد بأرخص الأثمان . وكان القاهر مشتهرا بالغناء والسماع ، فجعل ذلك طريقا إلى تحصيل غرضه رخيصا نعوذ بالله من هذه الأخلاق التي لا يرضاها عامة الناس . وفيها توفي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوي في شعبان (2)، وأبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم

(ا) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري الفقيه العابد شيخ الحنابلة بالعراق مات سنة 329 وسيأتي زيادة لذلك في حوادث سنة 329 هـ عند ذكر وفاته .

(2) هو نزيل بغداد . تنقل في جزائر البحر وفارس ، وطلب الأدب واللغة حتى صار رأسا فيهما وفي أشعار العرب وله شعر كثير وتصانيف . وكان أبوه مر رؤساء زمانه وحدث ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل العباس الرياشي ، وابن أخي الأصمعي وروى عنه أبو سعيد السيرافي ، وأبو بكر بن شاذان ، وابو الفرج صاحب الأغاني ،وأبو عبد الله المرزباني ، وعاش ابن دريد بضعا وتسعين سنة ،فمن تأليفه كتاب الجمهرة - طبع في الهند - والامالي . واشتقاق اسماء القبائل - طبع في اوروبا - والمجتبى ،وكتاب الخجل وغير دلك ، ولما مات هو وابو هاشم في يوم واحد فقال الناس : مات اليوم عالم اللغة ، وعالم الكلام وكان ذلك يوما مطيرا .

المعتزلي (1) في يوم واحد، ودفنا بمقابر الخيزران . وفيها توفي محمد بن يوسف بن مطر الفربري وكان مولده سنة إحدى وثلاثين ومائتين؛ وهو الذي روى صحيح البخاري عنه وكان قد سمعه عشرات ألوف من البخاري فلم ينتشر إلا عنه . وهو منسوب إلى فربر- بالفاء والراءين المهملتين وبينهما باء معجمة موحدة -وهي من قرى بخارى .

(1) هو عبد السلام ابو هاشم بن محمد أبي علي الجبائي من أبناء ابان مولى عثمان عالم بالكلام من كبار المعتزلة له آراء اتفرد بها وتبعته فرقة تسس - البهشمية - نسبة إلى أبي هاشم مولده ووفاته ببغداد .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء ابن بويه على شيراز

في هذه السنة ظفر عماد الدولة بن بويه بياقوت وملك شيراز، وقد ذكرنا مسير عماد الدولة ابن بويه إلى القنطرة وسبق ياقوت إليها. فلما وصلها ابن بويه وصده ياقوت عن عبورها، اضطر إلى محاربته فتحاربا في جمادى الآخرة . وأحضر علي بن بويه أصحابه ، ووعدهم أنه يترحل معهم عند الحرب ويقاتل كأحدهم ومناهم ووعدهم الإحسان. وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت فحين رآهم ياقوت أمر بضرب رقابهم فأيقن من مع ابن بويه أنهم لا أمان لهم عنده فقاتلوا قتال مستقتل . ثم إن ياقوتا قدم أمام أصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط فانقلبت الريح في وجوههم ، واشتدت . فلما القوا النار عادت النار عليهم فعلقت بوجوههم ، وثيابهم فاختلطوا وأكب عليهم أصحاب ابن بويه فقتلوا أكثر الرجالة، وخالطوا الفرسان فانهزموا ، فكانت الدائرة على ياقوت وأصحابه . فلما انهزم صد على نشز مرتفع ونادى في أصحابه الرجعة ، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس فقال لهم : "اثبتوا فإن الديلم يشتغلون بالنهب ويتفرقون فنأخذهم " . فثبتوا معه (ا)، فلما رأى ابن بويه ثباتهم نهى أصحابه عن النهب ، وقال : "إن عدوكم يرصدكم لتشتغلوا بالنهب فيعطف عليكم ويكون هلاككم ، فاتركوا هذا وافرغوا من المنهزمين ، ثم عودوا إليه " . ففعلوا ذلك ، فلما رأى ياقوت أنهم على قصده ولى منهزما واتبعه أصحاب ابن بويه يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح .

وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه قي ذلك اليوم من أحسن الناس أثراً

(1) وهذه المكيدة والتدبير طالما نجحت وظفر مدبروها ولا يخفى عليك يوم غزوة أحد عند ما اشتغل المسلمون بالغنيمة وانكش عليهم خيل الشرفي وعلى رأسهم خالد بن الوليد فقتلوا وجرحوا .

وكان صبيا لم تنبت لحيته ، وكان عمره تسع عشرة سنة . ثم رجعوا إلى السواد فغنموا ، ووجدوا في سواده برانس لبود عليها أذناب الثعالب ووجدوا قيودا وأغلالا ، فسألوا عنها فقال أصحاب ياقوت : إن هذه أعدت لكم لتجعل عليكم ويطاف بكم في البلاد . فأشار أصحاب ابن بويه أن يفعل بهم مثل ذلك فامتنع وقال : إنه بغي ولؤم ظفر ولقد لقي ياقوت بغيه . ثم أحسن إلى الأسارى وأطلقهم ، وقال : هذه نعمة والشكر عليها واجب يقتضي المزيد ، وخير الأسارى بين المقام عنده واللحوق بياقوت ، فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن إليهم ، وسار من موضع الوقعة حتى نزل بشيراز، ونادى في الناس بالأمان وبث العدل ، وأقام لهم شحنة يمنع من ظلمهم . واستولى على تلك البلاد وطلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم ، فكاد ينحل أمره ، فقعد في غرفة في دار الإمارة بشيراز يفكر في أمره ، فرأى حية خرجت من موضع في سقف تلك الغرفة ، ودخلت في ثقب هناك . فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين ، ففتحوا الموضع فرأوا وراءه بابا فدخلوه إلى غرفة أخرى وفيها عشرة صناديق مملوءة مالا ؟مصوغا . وكان فيها ما قيمته خمسمائة ألف دينار فأنفقها وثبت ملكه بعد أن كان قد أشرف على الزوال . وحكي أنه أراد أن يفصل ثيابا فدلوه على خياط كان لياقوت فأحضره فحضر خائفاً

وكان أصم فقال له عماد الدولة : لا تخف فإنما أحضرناك لتفصل ثيابا فلم يعلم ما قال ، فابتدأ وحلف بالطلاق والبراءة من دين الإسلام أن الصناديق التي عنده لياقوت ما فتحها . فتعجب الأمير من هذا الاتفاق ، فأمره بإحضارها فأحضر ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ثلاثمائة ألف دينار . ثم ظهر له من ودائع ياقوت وذخائر يعقوب وعمرو بني الليث جملة كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه . فلما تمكن من شيراز وفارس كتب إلى الراضي بالله وكانت قد افضت إليه الخلافة على ما نذكره وإلى وزيره أبي علي بن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة، ويطلب منه أن يقاطع على ما بيده من البلاد، وبذل ألف ألف درهم ، فأجيب إلى ذلك . فانفذوا له الخلع وشرطوا على الرسول أن لا يسلم إليه الخلع إلا بعد قبض المال ، فلما. وصل الرسول خرج عماد الدولة إلى لقائه وطلب منه الخلع واللواء فذكر له الشرط ، فأخذهما منه قهرا ولبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ودخل البلد وغالط الرسول بالمال ، فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . وعظم شأنه وقصده الرجال من الأطراف ، ولما سمع مرادويج بما ناله من ابن بويه قام لذلك وقعد وسار إلى أصبهان للتدبير عليه ، وكان بها أخوه وشمكير، لأنه لما خلع القاهر وتأخر

محمد بن ياقوت عنها عاد إليها وشمكير بعد أن بقيت تسعة عشر يوما خالية من أمير. فلما وصلها مرداويج رد أخاه وشمكير إلى الري .

ذكر استيلاء نصر بن أحمد على كرمان

في هذه السنة خرج أبو علي محمد بن إلياس من ناحية كرمان إلى بلاد فارس ،وبلغ اصطخر، فأظهر لياقوت أنه يريد أن يستأمن إليه حيلة ومكرا ، فعلم ياقوت مكره فعاد إلى كرمان ، فسير إليه السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان ما كان بن كالي في جيش كثيف فقاتله فانهزم ابن إلياس واستولى ما كان على كرمان نيابة من صاحب خراسان . وكان هذا محمد بن إلياس من أصحاب نصر بن أحمد فغضب عليه وحبسه ، ثم شفع فيه محمد بن عبيدالله البلغمي فأخرجه وسيره مع محمد بن المظفر إلى جرجان . فلما خرج يحيى بن أحمد واخوته ببخارى على ما ذكرناه ، سار محمد بن إلياس إليه فصار معه ، فلما دبر أمره سار محمد من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية ، فأزاله ما كان عنها فسار إلى الدينور وأقام ما كان بكرمان . فلما عاد عنها على ما نذكره رجع إليها محمد بن إلياس .

ذكر خلع القاهر بالله

وفيها خلع القاهر بالله في جمادى الأولى، وكان سبب ذلك ان أبا علي بن مقلة كان مستتراً من القاهر والقاهر يتطلبه ، وكذلك الحسن بن هارون ، فكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويخوفانهم من شره ويذكران لهم غدره ونكثه مرة بعد أخرى ، كقتل مؤنس ويلبق وابنه علي بعد الإيمان لهم . وكقبضه على طريف السبكري بعد اليمين له مع نصح طريف له إلى غير ذلك . وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ليلا تارة في زي أعمى وتارة في زي مكدي وتارة في زي امرأة ويغريهم به . ثم إنه أعطى منجما كان لسيما مائتي دينار، وأعطاه الحسن مائة دينار، وكان يذكر لسيما أن طالعه يقتضي ان ينكبه القاهر ويقتله . وأعطى ابن مقلة أيضا لمعبر كان لسيما يعبر له المنامات ، فكان يحذره أيضا من القاهر ويعبر له على ما يريد فازداد نفورا من القاهر.

ثم إن القاهر شرع في عمل مطامير في الدار فقيل لسيما ولجماعة قواد الساجية والحجرية : إنما عملها لأجلكم ، فازداد نفوراً ،ونقل إلى سيما أن القاهر يريد قتله

فجمع الساجية، وكان هو رئيسهم المقدم عليهم وأعطاهم السلاح ، وأنفذوا إلى الحجرية، إن كنتم موافقين لنا فجيئوا إلينا حتى يحلف بعضنا لبعض ، وتكون كلمتنا واحدة . فاجتمعوا جميعهم وتحالفوا على اجتماع الكلمة وقتل من خالف منهم . فاتصل ذلك بالقاهر ووزيره الخصيبي ، فأرسل إليهم الوزير ما الذي حملكم على هذا؟ فقالوا : قد صح عندنا أن القاهر يريد القبض على سيما وقد عمل مطامير ليحبس فيها قوادنا ورؤساءنا . فلما كان يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى أجتمع الساجية والحجرية عند سيما وتحالفوا على الاجتماع على القبض على القاهر فقال لهم سيما : قوموا بنا الساعة حتى نمضي هذا العزم ، فإنه إن تأخر علم به واحترز وأهلكنا. وبلغ ذلك الوزير فأرسل الحاجب سلامة وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك فوجداه نائما قد شرب أكثر ليلته فلم يقدرا على إعلامه بذلك . وزحف الحجرية والساجية إلى الدار ووكل سيما بأبوابها من يحفظها وبقي هو على باب العامة، وهجموا على الدار من سائر الأبواب . فلما سمع القاهر الأصوات والغلبة استيقظ مخمورا وطلب بابا يهرب منه ، فقيل له : إن الأبواب جميعها مشحونة بالرجال فهرب إلى سطح حمام ، فلما دخل القوم لم يجدوه فأخذوا الخدم وسألوهم عنه فدلهم عليه خادم صغير فتصدوه ، فرأوه وبيده السيف فاجتهدوا به فلم ينزل لهم ، فألانو له القول وقالوا : نحو عبيدك وإنما نريد أن نأخذ عليك العهود فلم يقبل منهم وقال : من صعد إلي قتلته . فأخذ بعضهم سهماً وقال : إن نزلت وإلا وضعته في نحرك ، فنزل حينئذ إليهم فأخذوه ، وساروا به إلى الموضع الذي فيه طريف السبكري ففتحوه وأخرجوه منه وحبسوا القاهر مكانه ثم سملوه ، وهرب وزيره الخصيبي وسلامة حاجبه .

وقيل في سبب خلعه وقيام الساجية والحجرية : غير ما تقدم ، وهو أن القاهر لما تمكن من الخلافة أقبل ينتصر الساجية والحجرية على ممر الأيام ولا يقضي لإكابرهم حاجة ويلزمهم النوبة في داره . ويؤخر أعطياتهم ويغلظ لمن يخاطبه منهم في أمر ويحرمه فأقبل بعضهم ينظر بعضا ويتشاكون بينهم . ثم إنه كان يقول لسلامة حاجبه : "يا سلامة أنت بين يدي كنز مال يمشي فأي شيء يبين في مالك لو أعطيتني ألف ألف دينار" . فيحمل ذلك منه على الهزل ، وكان وزيره الخصيبي أيضا خائفا لما يرى منه . - ثم إنه حفر في الدار نحو خمسين مطمورة تحت الأرض وأحكم أبوابها فكان

يقال : إنه عملها لمقدمي الساجية والحجرية فازداد نفورهم -منه وخوفهم . ثم إن جماعة من القرامطة أخذوا بفارس ، وأرسلوا إلى بغداد كما تقدم ، فحبسوا في تلك المطامير. ثم تقدم سرا بفتح الأبواب عليهم والإحسان إليهم وعزم على أن يقوى بهم على القبض على مقدمي الحجرية والساجية وبمن معه من غلمانه .

وأنكر الحجرية والساجية حال القرامطة وكونهم معه في داره محسنا إليهم . وقالوا لوزيره الخصيبي وحاجبه سلامة في ذلك فقالا له ، فأخرجهم من الدار فسلمهم إلى محمد بن ياقوت - وهو على شرطة بغداد -فأنزلهم في دار وأحسن إليهم. وكان يدخل إليهم من يريد فعظم استيحاشهم ، ثم صار يذمهم في مجلسه ويظهر كراهتهم حتى تبينوا ذلك في وجهه وحركاته معهم . فأظهروا أن لبعض قوادهم عرسا فاجتمعوا بحجته وقرروا بينهم ما أرادوا ، وافترقوا وأرسلوا إلى سابور خادم والدة المقتدر، فقالوا له : " قد علمت ما فعله بمولاتك وقد ركبت في موافقته كل عظيم فإن وافقتنا على ما نحن عليه وتقدمت إلى الخدم بحفظه ، فعفا الله عما سلف منك وإلا فنحن نبدأ بك " . فأعلمهم ما عنده من الخوف والكراهة للقاهر وأنه موافقهم . وكان ابن مقلة مع هذا يصنع عليه ويسعى فيه إلى أن خلع كما ذكرنا . وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام .

ذكر خلافة الراضي بالله

هو ابن العباس أحمد بن المقتدر بالله ، ولما قبض القاهر سألوا الخدم عن المكان الذي فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلوهم عليه . وكان هو ووالدته محبوسين فقصدوه ، وفتحوا عليه ودخلوا فسلموا عليه بالخلافة وأخرجوه ، وأجلسوه على سرير القاهر يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى ولقبوه بالراضي بالله وبايعه القواد والناس . وأمر بإحضار علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما فيما يفعله واستشارهما ، وأراد علي بن عيسى على الوزارة فامتنع لكبره ، وعجزه وضعفه وأشار بابن مقلة . ثم أن سيما قال للراضي إن الوقت لا يحتمل أخلاق علي وابن مقلة أليق بالوقت ، فكتب له أمانا وأحضره واستوزره . فلما وزر أحسن إلى كل من أساء إليه وأحسن سيرته وقال : "عاهدت الله عند استتاري بذلك ، فوفى به وأحضر الشهود والقضاة" وأرسلهم إلى القاهر ليشهدوا عليه بالخلع فلم يفعل فسمل من ليلته فبقي أعمى لا يبصر.

وأرسل ابن مقلة إلى الخصيبي وعيسى المتطبب بالأمان فظهرا وأحسن إليهما واستعمل الخصيبي وولاه ، واستعمل الراضي بالله على الشرطة بدرا الخرشني؛ واستعمل ابن مقله أبا الفضل بن جعفر بن الفرات في جمادى الأولى نائبا عنه علق سائر العمال بالموصل وقردى وبازبدى وماردين وطور عبدين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشامية وأج لأناد الشام وديار مضر يصرف من يرى ويستعمل من يرى في الخراج والمعاون والنفقات والبريد وغير ذلك ، وأرسل إلى محمد بن رائق يستدعيه ليوليه الحجبة وكان قد استولى على الأهواز وأعمالها، ودفع عنها ابن ياقوت ، ولم يبق بيد ابن ياقوت من تلك الولاية إلا السوس وجند يسابور وهو يريد المسير إلى أصبهان أميرا عليها على ما ذكرناه ، وكان ذلك آخر أيام القاهر. فلما ولي الراضي واستحضره سار إلى واسط وأرسل محمد بن ياقوت يخطب الحجبة فأجيب إليها فسار في إثر ابن رائق . وبلغ ابن رائق الخبر فلم يقف ، وسار من واسط مصعدا إلى بغداد يسابق ابن ياقوت ، فلما وصل إلى المدائن لقيه توقيع الراضي يأمره بترك دخول بغداد، وتقليده الحرب والمعاون بواسط مضافا إلى ما بيده من البصرة . وغيرها . فعاد منحدرا في دجلة، ولقيه ابن ياقوت مصعدا فيها أيضا فسلم بعضهم على بعض . وأصعد ابن ياقوت إلى بغداد فتولى الحجبة على ما نذكره .

ذكر وفاة المهدي صاحب افريقية وولاية ولده القائم

في هذه السنة في شهر ربيع الأول لوفي المهدي أبو محمد عبيدالله العلوي

بالمهدية . وأخفى، ولده أبو القاسم موته سنة لتدبير كان له ، وكان يخاف أن يختلف الناس عليه إذا علموا بموته . وكان عمر المهدي لما توفي ثلاثا وستين سنة، وكانت ولايته منذ دخل رقادة ودعي له بالإمامة إلى أن توفي أربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما. ولما توفي ملك بعده ابنه ابو القاسم محمد، وكان أبوه قد عهد إليه . ولما أظهر وفاة والده كان قد تمكن وفرغ من جميع ما أراده واتبع سنة أبيه ، وثار عليه جماعة فتمكن منهم ، وكان من أشدهم رجل يقال له : ابن طالوت القرشي في ناحية طرابلس ، ويزعم أنه ولد المهدي فقاموا معه وزحف إلى مدينة طرابلس ، فقاتله أهلها ثم تبين للبربر كذبه فقتلوه وحملوا رأسه إلى القائم ، وجهز القائم أيضا جيشا كثيفا مع ميسور الفتى إلى المغرب فانتهى إلى فالس وإلى تكرور، وهزم خارجيا هناك وأخذ ولده أسيرا . وسير أيضا

جيشا في البحر وقدم عليهم رجلا اسمه يعقوب بن إسحاق إلى بلد الدوم فسبى وغنم في بلد جنوه ، وسير جيشا آخر مع خادمه زيدان وبالغ في النفقة عليهم وتجهيزهم إلى مصر، فدخلوا الإسكندرية ، فأخرج إليهم محمد الإخشيد عسكرا كثيفا فقاتلهم وهزموا المغاربة ، وقتلوا فبهم وأسروا وعاد المغاربة مفلولين .

ذكر استيلاء مرداويج على الأهواز

لما بلغ مرداويج استيلاء علي بن بويه على فارس اشتد ذلك عليه ، فسار إلى أصبهان للتدبير على ابن بويه فرأى أن ينفذ عسكرا إلى الأهواز ليستولي عليها ويسد الطريق على عماد الدولة بن بويه اذا قصده فلا يبقى له طريق إلى الخليفة ويقصده هو من ناحية أصبهان ، ويقصده عسكره من ناحية الأهواز فلا يثبت لهم ، فسارت عساكر مرداويج في شهر رمضان حتى بلغت إيذج فخاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين ابن بويه ، فسار إلى الأهواز ومعه ابنه المظفر، وكتب إلى الراضي ليقلده أعمال الأهواز فقلده ذلك . وصار أبو عبدالله بن البريدي كاتبه مضافا إلى ما بيده من أعمال الخراج بالأهواز . وصار أخوه أبو الحسين يخلف ياقوتا ببغداد . ثم استولى عسكر مرداويج على رامهرمز أول شوال من هذه السنة، وساروا نحو الأهواز فوقف لهم ياقوت على قنطرة اربق ، فلم يمكنهم من العبور لشدة جرية الماء . فأقاموا بإزائه أربعين يوما ثم رحلوا ، فعبروا على الأطواف نهر المسرقان فبلغ الخبر إلى ياقوت ، وقد أتاه مدد من بغداد قبل ذلك بيومين فسار بهم إلى قرية الريخ ، وسار منها إلى واسط وبها حينئذ محمد بن رائق فأخلى له غربي واسط ، فنزل فيه ياقوت . ولما بلغ عماد الدولة استيلاء مرداويج على الأهواز كاتب نائب مرداويج يستميله ، ويطلب منه أن يتوسط الحال بينه وبين مرداويج ، ففعل ذلك وسعى فيه فأجابه مرداويج إلى ذلك على أن يطيعه ، ويخطب له ، فاستقر الحال بينهما وأهدى له ابن بويه هدية جليلة وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة، وخطب لمرداويج في بلاده فرضي مرداويج منه ، واتفق أنه قتل على ما نذكره فقوي أمر ابن بويه .

ذكر عود ياقوت إلى الأهواز

ولما وصل ياقوت إلى واسط أقام بها إلى أن قتل مرداويج ، ومعه أبو عبدالله الريدي ،يكتب له ، فلما قتل مرداويج عاد ياقوت إلى الأهواز واستولى على تلك